حياة طيبة

منهاج السعادة في الحكمة الإسلامية

رواء محمود حسين

حياة طيبة

منهاج السعادة
في الحكمة الإسلامية

تأليف

رواء محمود حسين

اسم الكتاب:

حياة طيبة

منهاج السعادة

في الحكمة الإسلامية

تأليف:

رواء محمود حسين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

{مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾}

(النحل: 97).

الإهداء

إلى من آمن بالله وعمل الصالحات من ذكر أو أنثى

فحصلوا على الحياة الطيبة والسعادة في الدنيا

والجزاء الحسن في الآخرة

أقدم لهم هذا الكتاب

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره. ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}، [آل عمران: 102].

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا }، [النساء: 1].

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (70) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا }، [الاحزاب: 70 – 71].

أما بعد[1]:

---

[1] تنظر خطبة الحاجة عند: النسائي: "المجتبى من السنن"، المسمى ب (سنن النسائي)، بيت الافكار الدولية، الاردن، بدون تاريخ، باب: كيفية الخطبة، حديث (1404)، [فيه] أبو عبيدة لم يسمع من أبيه شيئاً، ص 165، البيهقي (المتوفى: 458هـ): "السنن الكبرى"، دار المعرفة، بيروت، 1413 هـ، 7/ 164، غير مرفوع، أبو داود سليمان بن الاشعث السجستاني: "سنن أبي داود"، تحقيق عزت عبيد الدعاس، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1389 هـ، (2118)، سكت عنه [وقد قال في رسالته لأهل مكة كل ما سكت عنه فهو صالح]،الاصبهاني: "حلية الأولياء"، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1423 هـ، 208/7، (تفرد به عفان عن شعبة)، النووي: "الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار"، ط1، مكتبة المؤيد، 1408 هـ، ص355، إسناده صحيح، الالباني: "ظلال الجنة في تخريج السنة لابن أبي عاصم"، ط1، المكتب الاسلامي،

حكمة عظمية من حكم الإسلام البالغة المهمة التي نحن بأمس الحاجة إليها اليوم قبل أي يوم آخر وهي (حكمة الحياة الطيبة). هذه الحكمة التي نحتاجها اليوم بشكل كبير بسبب اقبال الناس الكبير على متاع الحياة الدنيا الفانية وملذاتها المادية الزائلة. في هذا العصر الذي ازدادت فيه حاجات الإنسان المادية غير المعقولة وغير المنطقية إلى أمور لا تعد من مسائل حياة الإنسان الجوهرية والأساسية وإنما هي من الأمور الترفية والكمالية التي يمكن للإنسان المعاصر أن يستغني عنا بكل بساطة، ولكن جهله بحاجاته الأساسية وبحثه عن الأمور الترفية الخارجة عن متطلباته حياته الأساسية يعقد المشهد أمامه ويجعل حياته ضيقة بسبب أسباب تعاسته المختلفة.

إذا ما الحل؟ والإنسان المعاصر غارق في أسباب التعاسة؟

من هنا جاءت فكرة الكتابة في (حياة طيبة: منهج السعادة في الحكمة الإسلامية) من أجل تحقيق العديد من الأهداف، لعل منها: تخفيف نزعة الإغراق في المتطلبات الدنيوية اليومية عند تشكل له هذه المتطلبات السطحية مطلباً جوهرياً وهي في حقيقتها أمور ثانوية يمكن التخفيف فيها وحتى إلغاء الكثير منها لأنها لا تشكل حاجات ضرورية بالنسبة للإنسان المعاصر. ومن أهداف هذا الكتاب تصحيح وجهة النظر الخاطئة عند البعض ممن يتصور أن الإسلام دين يدعو إلى نبذ الحياة الدنيا بشكل كامل والتركيز على أمور رهبانية ما فرضها الله سبحانه وتعالى ولا رسوله صلى الله عليه وسلم على المسلم في حياته اليومية ولا في سعيه للآخرة.

بيروت، 1400 هـ، ص 255، (الحديث صحيح)، الألباني: "خطبة الحاجة: التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمها أصحابه"، ط1، 1421 – 2000 م، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ص 3.

إذا الكتاب يهدف إلى (تجديد مفهوم الحياة الطيبة) وتقديمها إلى الإنسان المعاصر بصياغة معاصرة في ظل توجيهات الإسلام العامة حول الزهد في القرآن الحكيمة والسنة النبوية وآراء الصحابة ومن تبعهم بإحسان من علماء المسلمين.

وأسال الله سبحانه وتعالى أن يمن علينا بالقبول والإخلاص وأن يمنحني العون والتأييد لإنجاز باقي الكتب ضمن الموسوعة المذكورة، وأن يتقبل هذا العمل الصالح وأن ينفعنا به يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

رواء محمود حسين

4/ ذي الحجة/ 1443 هـ

2022 /7/3م

مدخل

حار الفلاسفة عبر تاريخ الفلسفة الطويل في تقديم مفهوم محدد للسعادة، ومن ثم في إرشاد الإنسان إليها. فإذا فحصنا تاريخ الفلسفة لأمكن اكتشاف ذلك. ولكن لأن غرض الكتاب تقديم مفهوم الحياة الطيبة والسعادة في الحكمة الإسلامية، فليس من المطلوب التوسع في مفهوم السعادة في الفلسفة. ولكن من الضروري بيان مفهوم السعادة في الفلسفة والفكر الإنساني بشكل موجز، إن شاء الله.

يرى الدكتور أحمد الأنصاري في أن السعادة من الموضوعات التي يصعب تحديد مفهومها، وأين تبدأ وأين تنتهي بداية من تعريفها وانتهاء بأنواعها وأشكالها وأساليب تحققها أو الحصول عليها. وعلى الرغم من أنها حاجة إنسانية، توصف بأنها غاية يسعى لها الناس جميعا، فمن الصعب تعميمها. وقد يوجد من لا يرغبه أو يبحث عنها، ويرى أن التفكير فيها مضيعة للوقت. ولا يجب الاهتمام بها أو الالتفات إليها، بل قد يراها البعض نوعا من الترف أو الضحالة الفكرية. لذلك تبدأ صعوبة الموضوع من بداية تناوله. هل السعادة رغبة إنسانية عامة أم ترتبط بالحياة فتوصف حياة ما بأنها سعيدة وأخرى بأنها تعيسة؟ هل هناك علاقة بين معنى السعادة ومعنى الحياة أو ما توصف بأنها حياة ذات معنى هدف؟ هل تتعلق السعادة بالخير، فتصبح الحياة الخيرة حياة سعيدة؟ هل يمكن وصف لحظات الحياة كلها أو الحياة كلها بالسعادة أم بعض لحظاتها؟ كذلك قد يؤدي البحث في السعادة ذاتها إلى أسئلة كثيرة أخرى. هل تعد مفهوماً قائما بذاته أم لا بد من وجود التعاسة والألم والمعاناة حتى تشعر بالسعادة؟ هل تتعلق السعادة بالظروف النفسية للفرد وبحالته الصحية أم بالظروف الخارجية والموضوعية والمجتمع والحالة الاقتصادية؟

هل تعد السعادة وهماً إنسانيا يقنع الإنسان نفسه بأنه يرغبها لذاتها، وتهرب منه حين يعيش لحظاتها أم أنها وسيلة لغاية أبعد منها؟ وإذا ما ارتبطت بالفرد هل السعادة حسية أم عقلية؟ قناعة ذاتية داخلية أم تتأثر بالخارج والظروف الموضوعية؟ هل تأثر سعادة المرء بقدر معارفه وحكمته. [2]

وتشير ليزا بورتولوتي أنه يتم التساؤل عن كيفية ظهور السعادة وكيف يتم التعبير عنها. هل تظهر السعادة إن لم تكن هناك أهداف يتم السعي لها؟ كيف تتأثر السعادة بالعلاقات الإنسانية، وبالمرض، وبالعوامل الثقافية الأخرى؟ هل تعنى مجرد بالرضا؟ أم مجرد مؤقت أم طريقة دائمة في الحياة؟ أينتج التأمل الشعور بالسعادة؟ هل وجود ظاهرة الموت أمر ضروري الشعور فعت الناس من هذه الفتح. إن الوضع فيما يتعلق بالبحث في السعادة تغير الآن. فقد بدأ الاهتمام بالبحث في العلوم الاجتماعية عن معايير السعادة ومعنى الحياة، واتجه الفلاسفة إلى تحليل العلاقات المتداخلة بين الرفاهية الذاتية والمقاييس الموضوعية للحياة الخيرة، بين السعادة والفناء، والسعادة والاختيار، والسعادة والصحة، بين التوازن الدقيق، بين تحقيق المرء للسلام الذاتي والدخول في الوقت نفسه في مجموعة من التفاعلات المثمرة مع الآخرين. إنهم يبحثون عن معنى السعادة بين الاهتمامات الإنسانية الملحة، وتوضيح علاقته بالإمكانات الإنسانية الأخرى والظروف. [3]

يرتبط البحث عن السعادة اليوم بالتساؤل حول ما يحسون به، وكيف توجه حياتهم، وكيف تكون إذا ما قاموا باختيارات أخرى غير تلك التي تخيروها أو نظموا حياتهم وفقا لقيم تلك التي انتقوا تنظيم حياتهم وفقا لها. ويحاولون الإجابة عن سؤال السعادة بمناهج مختلفة من بينها منهج

---

[2] ليزا بورتولوتي: "الفلسفة والسعادة"، ترجمة وتقديم أحمد الأنصاري، مراجعة حسن حنفي، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ص 7.

[3] ليزا بورتولوتي: "الفلسفة والسعادة"، ص 16.

التحليل للحدوس الشائعة عن الأشكال المختلفة لأنماط الحياة الواقعية والمتخيلة، ولأنواع الأفكار التي نتجت من تفسير الدليل التجريبي الذي ظهر من دراسة علم النفس والاقتصاديات. ثم الاهتمام بموضوع السعادة خارج الدائرة الأكاديمية. بدأ صناع السياسة اليوم ينتبهون، والعاملون بالتربية والإعلام لأهمية دراستها. وشكلت أهمية فهم انفعالات الإنسان وردود الأفعال المناسبة لها وكيفية التحكم فيها في أثناء النكسات، والتي اهتم بها علماء علم النفس الإيجابي أساسا للدعوة لتدريس السعادة في مدارس المملكة المتحدة. ولقد تبنى العالم الاقتصادي "ريتشارد ليارد" هذه الدعوة وتم تطبيق البرنامج الذي وضع في الولايات المتحدة للأطفال في سن الحادية عشرة في عام ٢٠٠٨م في اثنين وعشرين مدرسة. وتم تقييمه وبيان مدى كفاءته لجنة من مدرسة لندن الاقتصادية. يوضح هذا الكتاب التغيرات التي طرأت على مفهوم السعادة في ضوء هذه التطورات، وكيف حدث توافق بين هذا الاهتمام المتجدد بالسعادة والمناقشات الفلسفية التقليدية عن الحياة ذات المعنى. [4]

يرى عزيز لزرق ومحمد الهلالي أنه من الصعب تقديم تعريف واحد للسعادة، وذلك لتباين تمثلات الأذهان عنها، لكن هل صعوبة تعريف السعادة، يعني أن لكل سعادته؟ أم تعني تعذر الوصول إلى السعادة؟ حاول الإنسان ربط غاية الحياة بالسعادة، بعدها ما يضفي معنى على وجوده، فهل قيمة السعادة تكمن في البحث عنها أم في التوصل إليها؟ وسواء عددنا السعادة بحثاً مستمراً أم شيئاً يمكن تحصيله، فإن هذا لا يلغي إمكانية الشعور بها، لكن يبقى سؤال الواجب بالمعنى الأخلاقي سؤالاً مستفزاً، فإذا كانت السعادة ممكنة التحقق، فهل تلبية رغباتنا وفعل ما يحلو لنا دال حقا على سعادتنا؟ وهل تحقيق سعادتنا كأفراد، كاف لتحقيق سعادتنا داخل الجماعة؟

[4] ليزا بورتولوتي: "الفلسفة والسعادة"، ص 17.

هل هناك تطابق بين الشعور بالمتعة والسعادة؟ وهل يمكن تمثل سعادتنا بمعزل عن الواجب الأخلاقي وبمعزل عن سعادة الآخرين؟ هل يكفي إشباع رغباتنا لكي نكون سعداء؟ [5]

ولذلك تعددت المفاهيم والمناهج في بيان معنى السعادة ومفهومها وطريقة الحصول عليها:

فمنذ قديم الزمان، والإنسان يبحث عن السعادة ويسعى كل عمره بحثاً عنها؛ ولكن هل كل إنسان يستطيع الحصول على السعادة على الرغم من كونها نسبية أي تختلف باختلاف الذات التي تفكر، إلا أن هناك قواعد عامة كثيرة توضح ماهية السعادة الحقيقية التي يبلغها المرء دون أن يمس سعادة الآخرين، أو يحققها على حساب تعاستهم. والحقيقة... [6]

وبحثوا عن (سر السعادة) فذكروا أن كل منا قد ورث عن أسلافه رأس مال يجهله عناصره طاقات جسمية وقدرات عقلية، تضمن له الصحة والنجاح والسعادة وعليه أن يكتشف ذلك الكنز الخفي المجهول ومعرفة كيفية استثماره. فلكي تتم لنا العافية يجب أن نغذى ونوجه آلة الجسم ولكي ننجح ينبغي أن نطور ملكاتنا الصالحة، ونهمل بكل عناية وحكمة موروثاتنا الفاسدة. أما السعادة فهي ثمرة العافية والنجاح. فلا صحة بغير خلق متين وطبع رشيد، ولا ذكاء بمعنى الكلمة ولا طبع قوى مالم تقم آلة الجسم بوظائفها بغير عائق أو مكدر والمعول في ذلك كله ليس على ذكاه خارق؛ بل على إرادة حازمة تتولى دفة أمور الإنسان من جسمية وعقلية فتوجهها في مجرى معين لا تحيد عنه إذن يجب أن نربي إرادتنا ونقويها قبل كل شيء؛ لأن شعار ذلك البرنامج هو من أراد استطاع، وهو شعار المتفائلين في كل زمان ومكان، ذلك الشعار الذي يقوى الثقة بالنفس، ويجلي للأنظار الجانب البهيج من الحياة. [7]

---

[5] عزيز لزرق ومحمد الهلالي (إعداد وترجمة): "السعادة"، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، دفاتر فلسفية نصوص مختارة(22) ، ص 5.

[6] مجدي كامل: "سر السعادة"، ط1، دار الأمين، القاهرة، 1415 هـ – 1995م، ص 5.

[7] مجدي كامل: "سر السعادة"، ص 7.

وانتهى عدد من علماء النفس حينما بحثوا عن السعادة إلى وجود عامل عام واضح في قضية السعادة وهو عامل «الرضا الشامل». ولكن تقسيم هذا العامل إلى الشعور بالرضا عن جوانب محددة مثل العمل أو الزواج أو الصحة أو القدرات الذاتية أو تحقيق الذات. كذلك تم قياس معايير السعادة التي يغلب عليها الطابع الانفعالي: مثل الشعور بالبهجة الممزوجة بالتفاؤل وغيرها من المشاعر الإيجابية. ويتم ذلك عادة بسؤال الأفراد أن يصفوا حالتهم المزاجية خلال الأسابيع الأخيرة أو أن يحددوا طول الفترة الزمنية التي لازمتهم خلالها مشاعر السعادة. أما البعد الثالث والهام الذي تناولته الدراسات بالقياس فهو «العناء النفسي» في علاقته العكسية بالشعور بالرضا. [8]

وتركزت جهود علم النفس في النصف الثاني من القرن الماضي في موضوع واحد هو المرض النفسي – وقد تحققت فيه إنجازات جيدة. فالآن يستطيع علماء النفس قياس المفاهيم التي كانت غامضة من قبل، مثل الاكتئاب، والفصام، والإدمان بدقة عالية. لدين اليوم الكثير من المعلومات عن تطور هذه المشكلات عبر الحياة، وعن أصولها الجينية، وخواصها الكيماوية الحيوية، وأسبابها النفسية. وأهم من كل هذا أننا تعلمنا كيفية معالجتها. إن أربعة عشر مرضاً من عشرات الأمراض العقلية يمكن علاجها بكفاءة (ويمكن شفاء اثنين منها) باستخدام العلاجات الطبية، وبعض أنواع العلاجات النفسية. [9]

ولكن هذا التقدم كلف المجال الكثير، فيبدو أن الانهماك الكبير بعلاج الحالات التي تفسد الحياة، كان على حساب الاهتمام بدراسة الحالات التي تجعل الحياة ذات معنى جميل. فالناس

---

[8] مايكل أرجايل: "سيكولوجية السعادة"، ترجمة د. فيصل عبد القادر يوسف، مراجعة شوقي جلال، المركز الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يوليو، 1993م، ص 10.

[9] د. مارتن إي. بي. سليجمان: "السعادة الحقيقية: "استخدام علم النفس الإيجابي الحديث لتحقيق أقصى ما يمكنك من الإشباع الدائم"، ترجمة د. صفاء الأعسر، د. علاء الدين كفافي، د. عزيزة السيد، د. فيصل يونس، د. فادية علوان، د. سهير غباشي، ط1، دار العين للنشر، القاهرة، 2005م، ص 7.

في حاجة لما هو أكثر من مجرد تصحيح ما لديهم من نقاط ضعف، فهم يريدون حياة ذات معنى، لا يريدون أن تهدر حياتهم وهم يحاربون ضعفهم. فما يؤرقهم ويدعوهم للتفكير أن يتقدموا في حياتهم من تأمين موجهات محدودة إلى تحقيق إيجابيات أكبر، كأن نقول "لدي نقطتين إيجابيتين، كيف أجعلهما نقاطا إيجابية"، مقابل تخميننا في تحسين نقائصنا الكثيرة حتى تصبح أقل، كيف أجعل مساوئي الكثير ولتكن خمس مساوئ لتصبح ثلاث مساوئ فقط، وبذلك أصبح أقل شعورا بالبؤس يوما بعد يوم. إذا كنت مثل هذا الشخص، فسوف تجد أن علم النفس لا يحقق لك ما تحتاج إليه. وقد أن الأوان لعلم النفس أن يسعى لفهم الانفعالات (العواطف) الإيجابية، ويبين جوانب القوة والفضيلة، ويزود البشر بما يساعدهم على أن يجدها ما يسميه أرسطو "الحياة الطيبة". [10]

ويطرح عزيز لزرق ومحمد الهلالي العديد من الأسئلة حول السعادة منها: هل ما نقدر في العادة على تحقيقه هو توفير لذات ورغبات مختلفة. لكن، ألا يؤدي عد السعادة موقفاً دائماً إلى جعلها حالة مستحيلة؟ أم أن كيفية تصرفنا مع رغباتنا ومتعنا هو الوسيلة لتحقيق السعادة؟ فكل رغبة تنتج من نقص، من وضع عدم الإرضاء، وبالتالي في الأساس معاناة، وكل إرضاء هو انطلاقة لرغبة جديدة ولمعاناة أخرى وهكذا، ذلك أن أي إرضاء تام، يعني التخلي عن الحافز نحو الرغبة، عن والوقوع في فراغ مرعب: الضجر. لعل السعادة مثل الحقيقة، ليس مهما بلوغها بل الأهم هو البحث الدائم عنها، فما يجعلنا سعداء البحث السعادة. بهذه الطريقة عرفت فلسفة أبيقور بإعطائها الأولوية للشعور بالمتعة، أي النزعة المتعيّة، لكن بمعنى دقيق جدا، إذ يرى أن السعادة لا تكمن في تحقيق إرضاء تام لرغباتنا وملذاتنا، ولكن في ألا يكون المرء في حالة احتياج، وأن للمعاناة وللاضطراب. بهذا المعنى يتحدث أبيقور عن راحة وطمأنينة النفس. ولكي

[10] د. مارتن إي. بي. سليجمان: "السعادة الحقيقية: "استخدام علم النفس الإيجابي الحديث لتحقيق أقصى ما يمكنك من الإشباع الدائم"، ص 7.

يتحقق ذلك علينا أن نتفادى كل ما من شأنه أن يعرض رضانا للمعاناة أو للإحساس بالاحتياج أو النقص، حتى لا نشعر بعدم لا يتعرض الرضى، وبالتالي بالشقاء.. ومقابل هذه النزعة المتعية، نجد تصوراً آخر، يرى أن السعادة يجب أن تكون هي الغاية الأسمى للإنسان، على اعتبار أن الخير هو الغاية التي يسعى إليها الناس، سواء تم إدراكها أم لا. لكن الخيرات أنواع، هناك خيرات نستخدمها فقط كوسيلة للبلوغ إلى غايات أخرى، إنها غايات غير كاملة مادامت تحتاج لغيرها، وهناك خيرات لا تحتاج ل تحتاج لغيرها، إنها غايات تامة، لأنها ليست غايات نتوسل بها تحقيق أشياء. [11]

وهكذا ربط بعض الفلاسفة (أرسطو) بين السعادة والفضيلة، وبالتالي بين السعادة والواجب. تنقل هذه الفكرة إلى ممكنات التربية، فهل يمكن أن يتعلم الناس كيف يكونوا سعداء؟ إن ربط السعادة بالواجب، يعني في العمق ربط سعادة الفرد بسعادة الجماعة. فإذا كان الكمال الإنساني الفردي، شرطاً لازماً للسعادة، فإنه غير كاف لتحقيق السعادة داخل الجماعة، أي داخل الحياة العامة المشتركة بين الناس. خلاصة القول إن سعادة الفرد لا يمكن أن تتحقق بمعزل عن الجماعة، وبمعزل عن الأخلاق العامة. لذا يقول أرسطو إن الذي لا يستطيع أن ينتمي لجماعة ما، أو ليس في حاجة إلى ذلك لأنه مقتنع بذاته، لا يشكل جزءاً من هذه المدينة، لأن الكائن الإنساني كائن اجتماعي بطبعه، فإنه يستلزم للمدينة، ولأنه كائن يسعى باستمرار إلى إنسانيته، فإنه يحتاج إلى الأخلاق. إننا نعيش مع بعضنا لكي نكون سعداء، والسعادة هي غاية كل سياسة وأخلاق، فالسعادة كخير أسمى لا تختزل في الكمال الفردي، بل رهينة بالكمال الجماعي، إذ يتطابق الخير الخاص مع الخير العام، وهذا هو أفق «المدينة الفاضلة» التي طالما حلم بها الفلاسفة. وبالفعل فكل علاقة السعادة (الفردية أو الجماعية)، هي علاقة مع الحلم، لذا لا يمكن

[11] عزيز لزرق ومحمد الهلالي (إعداد وترجمة): "السعادة"، ص 6.

أن نتحدث عن السعادة بدون بلاغة، لعل أساس السعادة يكمن في العيش في كنف الاستعارات، والإقامة داخل المجازات. هكذا يأخذ التفكير الفلسفي في السعادة منحى شاعريا، حين يرسم معالم العالم المنشود، داخل أفق يمكن نعته بشعرية السعادة مع كمطمح إنساني كوني. [12]

وهكذا من خلال هذا المدخل حيرة الفلاسفة وعلماء النفس في تفسير معنى السعادة، وإيجاد طريقة للوصول إليها، نجد حيرة كبيرة في تحديد هذا المفهوم، أي في طرح سؤال (ما هي السعادة)، الذي بحث عنه الإنسان عبر التاريخ، ونجد حيرة أخرى في طرح السؤال الأهم وهو (كيف نصل إلى السعادة؟)

جاء القران الحكيم بإجابة واضحة ومحددة على السؤالين المذكورين (ما هي السعادة؟) وسؤال (كيف نصل إلى السعادة). ففي الآية الكريمة الاتية إجابة واضحة جداً على الأسئلة المذكورة:

قال تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ (النحل: 97).

وفي الفصول القادمة من هذا الكتاب، إن شاء الله، سنكتشف كيف أجابت الآية القرآنية المذكورة على الأسئلة المتقدمة المتعلقة بالسعادة بشكل واضح وصريح جداً.

[12] عزيز لزرق ومحمد الهلالي (إعداد وترجمة): "السعادة"، ص 7.

الفصل الأول

مفهوم الحياة الطيبة

في القرآن الحكيم والسنة النبوية

المبحث الأول

مفهوم الحياة الطيبة

في الحكمة القرآنية

يقول الله عز وجل: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾} (النحل: 97).

عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله لا يظلم مؤمنا حسنة، يعطى بها في الدنيا ويجزى بها في الآخرة، وأما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا، حتى إذا أفضى إلى الآخرة، لم تكن له حسنة يجزى بها». [13]

وقال أبو بكر الوراق: "هي حياة تصحبها حلاوة الطاعة"، وأخرج عبد الرزاق وغيره عن ابن عباس أنه سئل عن ذلك فقال: "الحياة الطيبة الرزق الحلال"، وروي عن الضحاك. ووجه بعضهم طيب هذه الحياة بأنه لا ينتظم عليها عقاب بخلاف الحياة بالرزق الحرام، فقد جاء «أيما لحم نبت من سحت فالنار أولى به"، وقيل: غير ذلك وأولى الأقوال على تقدير أن يكون ذلك في الدنيا تفسيرها بما يصحبه القناعة. قال الواحدي: ""إن تفسيرها بذلك حسن مختار فإنه لا يطيب في الدنيا إلا عيش القانع وأما الحريص فإنه أبدا في الكد والعناء، وقال الإمام: "إن عيش المؤمن

---

[13] مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ): " المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم"، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، 4/ 162.

في الدنيا أطيب من عيش غير المؤمن لوجوه: الأول أنه لما عرف أن رزقه إنما حصل بتدبير الله تعالى وأنه سبحانه محسن كريم لا يفعل إلا الصواب كان راضيا بكل ما قضاه وقدره وعرف أن مصلحته في ذلك، وأما الجاهل فلا يعرف هذه الأصول فكان أبدا في الحزن والشقاء. [14]

إن المؤمن يستدعي أبدا في عقله أنواع المصائب والمحن، ويقدر وقوعها ويجد نفسه راضية بذلك فعند الحصول لا يستعظمها بخلاف الجاهل فإنه غافل عن تلك المعارف فعند وقوع الشدائد يعظم تأثيرها في قلبه. والمؤمن مسرور بنور معرفة الله تعالى والقلب إذا كان مملوءاً بالمعرفة لم يستوسع للأحزان الموقعة بسبب أحوال الدنيا، وأما الجاهل فقلبه خال عن المعرفة منصرف للأحزان من الكوارث الدنيوية، كما أن المؤمن ملم أن خيرات الحياة الجسمانية خسيسة فلا يعظم فرحه باستشعارها ولا غمه بفقدها والجاهل لا يعرف سعادة أخرى تفاوتها فيكبر فرحه بضميرها وغمة بفقدانها. والمؤمن يعلم أن خيرات الدنيا واجبة التغير سريعة الزوال، ولولا تغيرها وانقلابها ما وصلت إليه فعند وصولها إليه لا يتعلق بها قلبه، فلا يحزنه فواتها والجاهل بخلاف ذلك. وأورد على التفسير المختار أن بعض من عمل صالحاً وهو مؤمن لم يرزق القناعة بل قد ابتلي بالقنوع، وأجيب بأن المراد بالمؤمن من كمل إيمانه أو يقال: المراد بمن عمل صالحاً من كان جميع عمله صالحاً. [15]

وقال البيضاوي في بيان ترتب إحيائه حياة طيبة: "إنه إن كان معسراً فظاهر، وإن كان موسرا فطيب عيشه بالقناعة والرضى بالقسمة، وتوقع الأجر العظيم في الآخرة أي على تخلف بعض مراداته عنه وضنك عيشه"، وقال الخفاجي: "إن هذه الأمور لا بد من وجود بعضها في المؤمن والأخير- يعني توقع الأجر في الآخرة- عام شامل لكل مؤمن فلا يرد عليه أن هذا لا

---

[14] شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: 1270هـ): "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني"، المحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1415 هـ، 7/ 463.

[15] شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي: "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني"، 7/ 463.

يوجد في كل من عمل صالحا حتى يؤول المؤمن بمن كمل إيمانه إلى آخر ما سمعت". وتعقب بأن القناعة هي الرضا بما قدر، كما في القاموس وغيره، وتوقع الأجر العظيم لا يوجد بدون ذلك، وكيف يحصل الأجر على تخلف المراد وضنك العيش مع الجزع وعدم الرضا. [16]

ويرى آخرون أن كمال الإيمان لا يكون بدون الرضا، وكذا كون جميع الأعمال صالحة لا يوجد بدونه لأن الأعمال تشمل القلبية والقالبية والرضا من النوع الأول. والمراد من {فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ(النحل: 97). لنعطينه ما تطيب به حياته. فيؤول معنى الآية حينئذ على تقدير أن يراد القناعة والرضا من رضي بالقسمة، وفعل كذا وكذا وهو مؤمن أو من عمل صالحاً، وهو راض بالقسمة متصف بكذا وكذا مما فيه كمال الإيمان فلنعطينه الرضا بالقسمة الذي تطيب به حياته، ويتضمن من رضي بالقسمة فلنعطينه الرضا بالقسمة الذي تطيب به حياته وهو كما ترى وفيه ما لا يخفى. نعم تفسير الحياة الطيبة بما يكون في الجنة سالم عن هذا القيل والقال، ويراد بها ما سلمت من توهم الموت والهرم وحلو الألم والسقم. [17]

وقوله سبحانه وتعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ} فإن قلت: من عمل صالحاً يفيد العموم فما فائدة الإشارة إلى الذكر والأنثى هنا؟ قلت: هو مبهم صالح على الإطلاق للنوعين إلا أنه إذا ذكر وأطلق، كان الظاهر بحثه للذكر دون الأنثى فقيل من ذكر أو أنثى على التبيين، ليعلم الوعد للنوعين جميعاً، وجواب آخر وهو أن الآية واردة بالوعد بالثواب، والمبالغة في تقرير الوعد، من أعظم دلائل الكرم والرحمة إثباتاً للتأكد، وإزالة لوهم التخصيص، وقوله: وهو مؤمن، جعل الإيمان شرطاً في كون العمل الصالح موجبا للثواب {فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ} قال سعيد بن جبير وعطاء: "هي الرزق الحلال"، وقال مقاتل: "هي العيش في الطاعة"، وقيل: "هي حلاوة

---

[16] شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي: "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني"، 7/ 463.

[17] شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي: "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني"، 7/ 463.

الطاعة". وقال الحسن: "هي القناعة"، وقيل: "رزق يوم بيوم"، واعلم أن عيش المؤمن في الدنيا، وإن كان فقيرا أطيب من عيش غيره وإن كان غنياً لأن المؤمن لما عرف أن رزقه من عند الله، وذلك بتقديره وتدبيره، وعلم أن الله محسن كريم متفضل لا يفعل إلا الصواب، فكان المؤمن راضياً عن الله وراضياً بما قدره الله له ورزقه إياه، وعرف أنه له مصلحة في ذلك القدر الذي رزقه إياه، فاستراحت نفسه من الكد والحرص فطاب عيشه، بذلك وأما غير المؤمن أو الجاهل بهذه الأصول الحريص على طلب الرزق فيكون أبدا في حزن وتعب وعناء وحرص وكد ولا ينال من الرزق إلا ما قدر له فظهر بهذا أن عيش المؤمن القنوع أطيب من غيره. [18]

وقال السدي: "الحياة الطيبة إنما تحصل في القبر لأن المؤمن يستريح بالموت من نكد الدنيا وتعبها". وقال مجاهد وقتادة: عن الحياة الطيبة: "هي الجنة". وروى العوفي عن الحسن، قال: "لا تطيب لأحد الحياة إلا في الجنة لأنها حياة بلا موت، وغنى بلا فقر وصحة بلا سقم وملك بلا هلك وسعادة بلا شقاوة"، وعلى هذا الرأي فإن الحياة الطيبة لا تكون إلا في الجنة، ولقوله في سياق الآية {وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} لأن ذلك الجزاء إنما يكون في الجنة". [19]

ويقول الطبري: "يقول تعالى ذكره: ولا تنقضوا عهودكم أيها الناس، وعقودكم التي عاقدتموها من عاقدتم مؤكِّديها بأيمانكم، تطلبون بنقضكم ذلك عرضًا من الدنيا قليلا ولكن أوفوا بعهد الله الذي أمركم بالوفاء به، يثبكم الله على الوفاء به، فإن ما عند الله من الثواب لكم على الوفاء بذلك، هو خير لكم إن كنتم تعلمون، فضل ما بين العِوَضين اللذين أحدهما الثمن القليل، الذي تشترون بنقض عهد الله في الدنيا، والآخر الثواب الجزيل في الآخرة على الوفاء به، ثم بين تعالى ذكره

---

[18] علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: 741هـ): " لباب التأويل في معاني التنزيل"، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1415 هـ، 3/ 97.

[19] الخازن: " لباب التأويل في معاني التنزيل"، 3/ 97.

فرْق ما بين العِوَضين وفضل ما بين الثوابين، فقال: ما عندكم أيها الناس مما تتملكونه في الدنيا، وإن كَثُر فنافدٌ فان، وما عند الله لمن أوفى بعهده وأطاعه من الخيرات باق غير فانٍ، فلما عنده فاعملوا وعلى الباقي الذي لا يفنى فاحرصوا. وقوله (وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) يقول تعالى ذكره: وليثيبنّ الله الذين صبروا على طاعتهم إياه في السّراء والضرّاء، ثوابهم يوم القيامة على صبرهم عليها، ومسارعتهم في رضاه، بأحسن ما كانوا يعملُون من الأعمال دون أسوئها، وليغفرنّ الله لهم سيئها بفضله". [20]

ويضيف الطبري: "يقول تعالى ذكره: من عمل بطاعة الله، وأوفى بعهود الله إذا عاهد من ذكر أو أنثى من بني آدم وهو مؤمن: يقول: وهو مصدّق بثواب الله الذي وعد أهل طاعته على الطاعة، وبوعيد أهل معصيته على المعصية (فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً). واختلف أهل التأويل في الذي عَنى الله بالحياة الطيبة التي وعد هؤلاء القوم أن يُحْيِيَهموها، فقال بعضهم: عنى أنه يحييهم في الدنيا ما عاشوا فيها بالرزق الحلال". [21]

وفي قوله تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾} (النحل: 97).

[20] محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ): "جامع البيان في تأويل القرآن"، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000 م، 17/ 289.

[21] أبو جعفر الطبري: "جامع البيان في تأويل القرآن"، 17/ 289.

يقول ابن عجيبة الحسني: من عمل صالحا بأن نوى الإخلاص وعمل به، وتوفرت فيه شروط القبول، من ذكر أو أنثى وهو مؤمن، فلنحيينه حياة طيبة في الدنيا، بالقناعة والكفاية مع التوفيق والهداية. [22]

إن كل عامل سواء كان ذكراً أو أنثى عمل عملاً صالحاً فإن الله سبحانه يقسم ليحيينه حياة طيبة، وليجزينه أجره بأحسن ما كان يعمل. والقرآن العظيم دل على أن العمل الصالح هو ما استكمل ثلاثة أمور: الأول: موافقته لما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم لأن الله يقول: {مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ} (الحشر: 7). وأن يكون خالصا لله تعالى، فالله سبحانه وتعالى، يقول: {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ} (البينة: 5)، {قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي ﴿١٤﴾} (الزمر: 14). وأن يكون العمل مبنياً على أساس العقيدة الصحيحة لأن الله يقول: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ} (النحل: 97)، فقيد ذلك بالإيمان، ومفهوم مخالفته أنه لو كان غير مؤمن لما قبل منه ذلك العمل الصالح. [23]

واختلف العلماء في المراد بالحياة الطيبة في هذه الآية الكريمة. وذلك أنّ المؤمن مع العمل الصالح موسراً كان أو معسراً يحيى حياة طيبة إن كان موسراً، فلا مقال فيه. وإن كان معسراً، فمعه ما تطيب حياته وهو القناعة والرضا بقسمة الله. وأمّا الفاجر فأمره على العكس: إن كان معسراً فلا إشكال في أمره، وإن كان موسراً فالحرص لا يدعه أن يتهنأ بعيشه. وعن ابن عباس

---

[22] أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: 1224هـ): "البحر المديد في تفسير القرآن المجيد"، المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة، الطبعة: 1419 هـ، 3/ 161.

[23] محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: 1393هـ): "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن"، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، 1415 هـ - 1995 م، 2/ 440.

رضى الله عنه: "الحياة الطيبة: الرزق الحلال". وعن الحسن: "القناعة". وعن قتادة: "يعنى في الجنة". وقيل: "هي حلاوة الطاعة والتوفيق في قلبه." [24]

وسبب ذكر الإيمان في الآية إذ قال تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ} لأن الإيمان شرط في صحة الأعمال الصالحة وقبولها بل لا تسمى أعمالا صالحة إلا بالإيمان، والإيمان مستلزم لها، فإنه التصديق الجازم المثمر لأعمال الجوارح من الواجبات والمستحبات، وقد بين الله سبحانه وتعالى جزاء من جمع بين الإيمان والعمل الصالح {فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ} وذلك بطمأنينة قلبه وسكون نفسه وعدم التفاته لما يشوش عليه قلبه ويرزقه الله رزقا حلالا طيبا من حيث لا يحتسب {وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ} في الآخرة {وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} من أصناف اللذات مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فيؤتيه الله في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة. [25]

الصالح ما يصلح للقبول، والذي يصلح للقبول ما كان على الوجه الذي أمر الله به. وقوله «من عمل صالحاً»: في الحال، {فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ} في المآل فصفاء الحال يستوجب وفاء المآل، والعمل الصالح لا يكون من غير إيمان، ولذا قال: {وَهُوَ مُؤْمِنٌ} مصدق بأن إيمانه من فضل الله لا بعمله الصالح. ويقال أي مصدق بأن عمله بتوفيق الله وإنشائه وإبدائه. [26]

والمعنى الذي يفهم من الآية أنها خطاب للمؤمنين أن يجيبوا دعوة الله سبحانه، ودعوة الرسول صلى الله عليه وسلم إذا دعاكم لما يحييكم حياة طيبة أبدية مشتملة على سعادة الدنيا

---

[24] أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ): "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل"، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – 1407 هـ، 2/ 633.

[25] عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: 1376هـ): "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان"، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى 1420هـ –2000 م ص 448.

[26] عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: 465هـ): "لطائف الإشارات = تفسير القشيري"، المحقق: إبراهيم البسيوني، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، الطبعة: الثالثة، 2/ 319.

والآخرة، وفيها صلاحكم وخيركم، وفيها كل حق وصواب، وذلك شامل القرآن والإيمان وكل الأعمال الصالحة. وقال البخاري: استجيبوا: أجيبوا، لما يحييكم: لما يصلحكم. وأكثر الفقهاء على أن ظاهر الأمر للوجوب، فالأمر هنا للوجوب حتى يكون له معنى وفائدة، صونا للنص عن التعطيل، ولأن قوله بعدئذ: واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون جار مجرى التهديد والوعيد، وهو لا يليق إلا بالإيجاب. فيجب بناء عليه امتثال ما أمر به الرسول صلّى الله عليه وآله وسلم بجد وعزم ونشاط من أمور الدين عبادة وعقيدة ومعاملة. أما أمور العادات كاللباس والطعام والشرب والنوم، فليست من الدين الواجب الاقتداء به. ومن أعرض عما أمر النبي به من الإيمان والقرآن والهدى، فهو ميت لا حياة طيبة أو روحية فيه. [27]

وذكر ابن الجوزي أن هناك العديد من الأقوال للمفسرين في معنى (حياة طيبة) الواردة في الآية، ومن ذلك أحدها: أنها في الدنيا، رواه العوفي عن ابن عباس. ثم فيها للمفسرين تسعة أقوال: أحدها: أنها القناعة، قاله علي رضي الله عنه، وابن عباس في رواية، والحسن في رواية، ووهب بن منبه. والثاني: أنها الرزق الحلال، رواه أبو مالك عن ابن عباس. وقال الضحاك: يأكل حلالاً ويلبس حلالاً. والثالث: أنها السعادة، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس. والرابع: أنها الطاعة، قاله عكرمة. والخامس: أنها رزق يوم بيوم، قاله قتادة. والسادس: أنها الرزق الطيّب، والعمل الصالح، قاله إسماعيل بن أبي خالد. والسابع: أنها حلاوة الطاعة، قاله أبو بكر الوراق. والثامن: العافية والكفاية. والتاسع: الرضى بالقضاء، ذكرهما الماوردي. والثاني: أنها في الآخرة،

[27] د. وهبة بن مصطفى الزحيلي: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج"، الناشر: دار الفكر المعاصر – دمشق، الطبعة: الثانية، 1418 هـ، 9/ 290.

قاله الحسن، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وقتادة، وابن زيد، وذلك إنما يكون في الجنة. والثالث: أنها في القبر، رواه أبو غسّان عن شريك. [28]

عن ابن عباس رضي الله عنهما، أنه سئل عن قوله تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾} (النحل: 97). قال: "الحياة الطيبة، الرزق الحلال في هذه الحياة الدنيا. وإذا صار إلى ربه جازاه بأحسن ما كان يعمل". وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: حياة طيبة قال: "الكسب الطيب والعمل الصالح". وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: حياة طيبة قال: "السعادة"، وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: {فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ} قال: "القنوع". قال: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو: "اللهم قنعني بما رزقتني وبارك لي فيه، واخلف على كل غائبة لي بخير". وعن الحسن رضي الله عنه في قوله: {حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ}، قال: "ما تطيب الحياة لأحد إلا في الجنة". [29]

وذكر ابن كثير أن في قوله تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾} (النحل: 97). يبين ابن كثير أن هذا وعد من الله تعالى لمن عمل صالحاً وهو العمل المتابع لكتاب الله تعالى وسنة النبي صلى الله عليه وسلم من ذكر أو أنثى من بني آدم، وقلبه مؤمن بالله ورسوله عليه الصلاة والسلام، وإن هذا العمل المأمور به مشروع من عند الله –بأن يحييه الله حياة طيبة في الدنيا وأن يجزيه بأحسن

---

[28] جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ): " جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ)"، زاد المسير في علم التفسير، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – 1422 هـ، 2/ 582.

[29] أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: 327هـ): "تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم"، المحقق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة – 1419 هـ، 7/ 2301.

ما عمله في الدار الآخرة. والحياة الطيبة تشمل وجوه الراحة من أي جهة كانت. وقد روي عن ابن عباس وجماعة أنهم فسروها بالرزق الحلال الطيب.

وعن علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، أنه فسرها بالقناعة.

قال ابن عباس، وعكرمة، ووهب بن منبه. وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: "أنها السعادة".

وقال الحسن، ومجاهد، وقتادة: "لا يطيب لأحد حياة إلا في الجنة".

وقال الضحاك: "هي الرزق الحلال والعبادة في الدنيا"، وقال الضحاك أيضا: "هي العمل بالطاعة والانشراح بها".

ويقول ابن كثير: "والصحيح أن الحياة الطيبة تشمل هذا كله كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد: حدثنا عبد الله بن يزيد، حدثنا سعيد بن أبي أيوب، حدثني شرحبيل بن شريك، عن أبي عبد الرحمن الحبلي، عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "قد أفلح من أسلم ورزق كفافا، وقنعه الله بما آتاه." ورواه مسلم، من حديث عبد الله بن يزيد المقرئ به، وروى الترمذي والنسائي، من حديث أبي هانئ، عن أبي علي الجنبي عن فضالة بن عبيد؛ أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "قد أفلح من هدي إلى الإسلام، وكان عيشه كفافاً، وقنع به ." [30]

[30] أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ): "تفسير القرآن العظيم"، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية 1420هـ - 1999 م،4/ 601.

وينقل السيوطي في "الدر المنثور" عدداً من أقوال المفسرين في تفسير قوله تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾} (النحل: 97).

وكما يأتي:

أخرج عبد الرَّزَّاق وَالْفِرْيَابِي وَسَعِيد بن مَنْصُور وَابْن جرير وَابْن الْمُنْذر وَابْن أبي حَاتِم عَن ابْن عَبَّاس رَضِي الله عَنْهُمَا أَنه سُئِلَ عَن هَذِه الْآيَة {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾} (النحل: 97). قال: "قال: الحياة الطيبة الرزق الحلال في هذه الحياة الدنيا، وإذا صار إلى ربه جازاه بأحسن ما كان يعمل".

وأخرج ابن جرير عن الضحاك في قوله: {فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً} قال: الحياة الطيبة الرزق الحلال في هذه الحياة الدنيا وإذا صار إلى ربه جازاه بأحسن ما كان يعمل.

وأخرج ابن جرير عن الضحاك رضي الله عنه في قوله: {فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً}، قال: يأكل حلالاً ويشرب حلالاً ويلبس حلالاً.

وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: حَيَاةً طَيِّبَةً}، قال: "السعادة".

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: {حَيَاةً طَيِّبَةً}، قال: "الكسب الطيب والعمل الصالح".

وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه والبيهقي في الشعب من طرق عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: {فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً}، قال: "القنوع".

قال: وكان رسول الله يدعو: اللهم قنعني بما رزقتني وبارك لي فيه واخلف علي كل غائبة لي بخير

وأخرج وكيع في الغرر عن محمد بن كعب القرظي في قوله: {فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً}، قال: "القناعة". [31]

وينقل الطبري أقوال الأئمة من الصحابة والتابعين في تفسير الآية: عن ابن عباس، في قوله {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً}، قال: "الرزق الحسن في الدنيا". وعن ابن عباس، قال: "الرزق الطيب في الدنيا".

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً} يعني في الدنيا.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن عيينة، عن مطرف، عن الضحاك {فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً} قال: "الرزق الطيب الحلال". وعن الضحاك، في قوله {فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً}، قال: "يأكل حلالاً ويلبس حلالاً. وقال {فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً}، بأن نرزقه القناعة. وعن عليّ رضي الله عنه، {فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً}، قال: "القنوع". وعن الحسن البصريّ، قال: "الحياة الطيبة: القناعة." وقال آخرون: "بل يعني بالحياة الطيبة الحياة مؤمنًا بالله عاملاً بطاعته." [32]

وذكر الطبري عدداً من الأقوال في تأويل معنى (حياة طيبة):

عن الضحاك، قال: "من عمل عملا صالحًا وهو مؤمن في فاقة أو ميسرة، فحياته طيبة، ومن أعرض عن ذكر الله فلم يؤمن ولم يعمل صالحًا، عيشته ضنكة لا خير فيها".

---

[31] عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ): "الدر المنثور"، الناشر: دار الفكر – بيروت، 5/ 164.

[32] الطبري: " جامع البيان في تأويل القرآن"، 17/ 290.

وقال آخرون: "الحياة الطيبة السعادة". وممن ذهب إلى ذلك: عن ابن عباس، قال عن الحياة الطيبة: "السعادة".

وقال آخرون: بل معنى ذلك: الحياة في الجنة. عن الحسن، قال: "لا تطيب لأحد حياة دون الجنة".

وعن الحسن قال: "ما تطيب الحياة لأحد إلا في الجنة".

وعن قتادة، "فإن الله لا يشاء عملا إلا في إخلاص، ويوجب عمل ذلك في إيمان، قال الله تعالى (فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً) وهي الجنة".

وعن مجاهد، قال: "الآخرة يحييهم حياة طيبة في الآخرة".

وقال ابن زيد: "الحياة الطيبة في الآخرة: هي الجنة، تلك الحياة الطيبة"، قال وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾}، وقال: ألا تراه يقول {يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾}، قال: "هذه آخرته". وقرأ أيضًا {وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ ۚ} قال: "الآخرة دار حياة لأهل النار وأهل الجنة، ليس فيها موت لأحد من الفريقين".

وعن الربيع، في قوله {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ}، قال: الإيمان: "الإخلاص لله وحده، فبين أنه لا يقبل عملا إلا بالإخلاص له". [33]

يقول الطبري: "وأولى الأقوال بالصواب قول من قال: تأويل ذلك: فلنحيينه حياة طيبة بالقناعة، وذلك أن من قنعه الله بما قسم له من رزق لم يكثر للدنيا تعبه، ولم يعظم فيها نَصَبه ولم يتكدّر فيها عيشه باتباعه بغية ما فاته منها وحرصه على ما لعله لا يدركه فيها. وإنما قلت ذلك أولى التأويلات في ذلك بالآية، لأن الله تعالى ذكره أوعد قوما قبلها على معصيتهم إياه إن

[33] الطبري: " جامع البيان في تأويل القرآن"، 17/ 290 – 291.

عصوه أذاقهم السوء في الدنيا، والعذاب في الآخرة، فقال تعالى: {وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ} (النحل: 94)، فهذا لهم في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب عظيم، فهذا لهم في الآخرة. ثم أتبع ذلك لمَن أوفى بعهد الله وأطاعه فقال تعالى: ما عندكم في الدنيا ينفد، وما عند الله باق، فالذي هذه السيئة بحكمته أن يعقب ذلك الوعد لأهل طاعته بالإحسان في الدنيا، والغفران في الآخرة، وكذلك فَعَلَ تعالى ذكره". [34]

ويضيف الطبري: "وأما القول الذي رُوي عن ابن عباس أنه الرزق الحلال، فهو مُحْتَمَل أن يكون معناه الذي قلنا في ذلك، من أنه تعالى يقنعه في الدنيا بالذي يرزقه من الحلال، وإن قلّ فلا تدعوه نفسه إلى الكثير منه من غير حله. لا أنه يرزقه الكثير من الحلال، وذلك أن أكثر العاملين لله تعالى بما يرضاه من الأعمال لم نرهم رُزِقوا الرزق الكثير من الحلال في الدنيا، ووجدنا ضيق العيش عليهم أغلب من السعة. وقوله {وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾} (النحل: 97). فذلك لا شك أنه في الآخرة. وكذلك قال أهل التأويل".

ويعقب الطبري بذكر من قال ذلك:

حدثني أبو السائب، قال: ثنا أبو معاوية، عن إسماعيل بن سميع، عن أبي مالك، عن ابن عباس {وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾} (النحل: 97). قال: "إذا صاروا إلى الله جزاهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون". [35]

ويقول الإمام ابن القيم حول قوله تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾} (النحل: 97)، "فهذا في البرزخ والآخرة".

---

[34] الطبري: " جامع البيان في تأويل القرآن"، 17/ 291.

[35] الطبري: " جامع البيان في تأويل القرآن"، 17/ 292.

ويورد آيات قرآنية أخرى، مثل قوله تعالى: {وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} ﴿النحل: ٤١﴾، وقال تعالى: {وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ} ﴿هود: ٣﴾، يقول ابن القيم: "فهذا في الآخرة".

وقال تعالى: {قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾} (الزمر: 10)، ويقول ابن القيم: "فهذه أربعة مواضيع ذكر الله تعالى فيها أنه يجزي المحسن بإحسانه جزاءين: جزاء في الدنيا وجزاء في الآخرة. فالإحسان له جزاء معجل ولا بد، والإساءة لها جزاء معجل ولا بد. ولو لم يكن إلا ما يجازي به المحسن من انشراح صدوره في انفساح قلبه وسروره ولذاته بمعاملة ربه عز وجل وطاعته وذكره ونعيم روحه بمحبته. وذكره وفرحه بربه سبحانه وتعالى أعظم مما يفرح القريب من السلطان الكريم عليه بسلطانه. وما يجازي به المسيء من ضيق الصدر وقسوة القلب وتشتته وظلمته وحزازاته وغمه وهمه وحزنه وخوفه وهذا أمر لا يكاد من له أدني حس وحياة يرتاب فيه، بل الغموم والهموم والاحزان والضيق عقوبات". [36]

[36] محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ): "الوابل الصيب من الكلم الطيب"، تحقيق: سيد إبراهيم، الناشر: دار الحديث – القاهرة، رقم الطبعة: الثالثة، 1999 م، ص 47.

المبحث الثاني

مفهوم الحياة الطيبة

في الحكمة النبوية

جاء في الحكمة النبوية عن أبي ذر، عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما روى عن ربه، أنه قال: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، فجعلته بينكم محرما، فلا تظالموا، يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم، يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته، فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته , فاستكسوني أكسكم، إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعا، فاستغفروني أغفر لكم، يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم، وجنكم وإنسكم، كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم , ما زاد ذلك في ملكي شيئا، لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم، كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم , ما نقص ذلك من ملكي شيئا، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم، قاموا في صعيد واحد فسألوني كل واحد منكم مسألته، فأعطيته، ما نقص ذلك مما عندي , إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل في البحر، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، وأوفيكم إياها يوم القيامة، فمن وجد خيرا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك، فلا يلومن إلا نفسه". [37]

---

[37] محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: 516هـ): " شرح السنة"، تحقيق: شعيب الأرنؤوط–محمد زهير الشاويش الناشر: المكتب الإسلامي – دمشق، بيروت الطبعة: الثانية، 1403هـ – 1983م، 5/ 73 – 74.

(فمن وجد خيرا) أي: ثواباً ونعيماً، بأن وفقه الله لأسبابهما، أو حياة طيبة هنيئة مريئة؛ كما قال الله تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾} (النحل: 97). (فليحمد الله) تعالى على توفيقه للطاعات التي تحققت بسبب ذلك الخير والثواب فضلًا منه تعالى ورحمة، وعلى إسدائه ما وصل إليه من عظيم الخيرات؛ إذ لا يجب عليه شيء لأحدٍ من خلقه، فعلم أنه إن أُريد بذلك الآخرة فقط. كان الأمر بذلك بمعنى الإخبار بأن من وجد خيرًا فيها. حمد الله تعالى عليه، ومن وجد غيره ذلك لام نفسه حين لا ينفعها اللوم. وجاء في آيات الإخبار عن أهل الجنة بأنهم يحمدون: {وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ ۖ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ۖ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ۖ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾} (الأعراف: 43)، {وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾} (فاطر: 34)، 2. {وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ} ﴿الزمر: ٧٤﴾. [38]

وعن أهل النار بأنهم يلومون أنفسهم: {وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿ابراهيم: ٢٢﴾}، {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴿غافر: ١٠﴾} الآيتين. وأخرج الترمذي: "ما من ميتٍ يموت إلا ندم، فإن كان محسنًا.. ندم ألَّا يكون ازداد، وإن كان مسيئًا ندم ألَّا يكون استعتب". (ومن وجد

[38] أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس (المتوفى: 974 هـ): "الفتح المبين بشرح الأربعين"، عني به أحمد جاسم محمد المحمد قصي محمد نورس الحلاق، أبو حمزة أنور بن أبي بكر الشيخي الدّاغستاني، الناشر: دار المنهاج، جدة – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1428 هـ – 2008 م، ص 429.

غير ذلك) أي: شرًا، ولم يذكره بلفظه؛ تعليمًا لنا كيفيةَ الأدب في النطق بالكناية عمَّا يؤذي، ومثله ما يُستقبح أو يُستحيى من ذكره، أو إشارةً إلى أنه إذا اجتنب لفظه.. فَكيف بالوقوع فيه؟! أو إلى أنه سبحانه وتعالى حييٌّ كريمٌ يحب الستر ويغفر الذنب، فلا يعاجل بالعقوبة، ولا يهتك الستر. [39]

وكما قال الله تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾} (النحل: 97). فيكون العبد مأموراً بلوم نفسه على ما فعل من الذنوب التي وجد عاقبتها في الدنيا، كما قال تعالى: {وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿السجدة: ٢١﴾، فالمؤمن إذا أنتابه في الدنيا بلاء، رجع إلى نفسه باللوم، ودعاه ذلك إلى الرجوع إلى الله بالتوبة والاستغفار. وفي "المسند"، و"سنن أبي داود" عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن المؤمن إذا أصابه سقم، ثم عافاه الله منه كان كفارة لما مضى من ذنوبه، وموعظة له فيما يستقبل من عمره، وإن المنافق إذا مرض وعوفي كان كالبعير عقله أهله، وأطلقوه لا يدري بما عقلوه، ولا بما أطلقوه". وقال سلمان الفارسي رضي الله عنه: "إن المسلم ليبتلى، فيكون كفارة لما مضى، ومستعتباً فيما بقي، وإن الكافر يبتلى، فمثله كمثل البعير أطلق، فلم يدر لما أطلق وعقل". وإن كان المراد من وجد خيرا أو غيره في الآخرة، كان بياناً منه بأن الذين يجدون الخير في الآخرة يحمدون الله على ذلك، وأن من وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه، حين لا ينفعه اللوم، فيكون الكلام لفظه لفظ الأمر، ومعناه الخبر، كقوله صلى الله عليه وسلم: "من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار"، والمعنى: أن الكاذب عليه يتبوأ مقعده من النار. [40]

---

[39] ابن حجر الهيتمي: "الفتح المبين بشرح الأربعين"، ص 429.

[40] محمد بن علي بن آدم بن موسى الإثيوبي الوَلَّوِي: "شرح سنن النسائي المسمى «ذخيرة العقبى في شرح المجتبى"، الناشر: دار المعراج الدولية للنشر [جـ 1 – 5]، دار آل بروم للنشر والتوزيع [جـ 6 – 40]، الطبعة: الأولى، جـ (1 – 5) / 1416 هـ

وقد أخبر الله تعالى عن أهل الجنة، أنهم يحمدون الله على ما رزقهم من فضله، فقال: {وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿الأعراف: ٤٣﴾، وقال تعالى: {وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ} الآية [الزمر: 74]، وقال تعالى: {وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾} [فاطر: 34، 35]، وأخبر عن أهل النار، أنهم يلومون أنفسهم، ويمقتونها أشد المقت، فقال تعالى: {وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿ابراهيم: ٢٢﴾} الآية [إبراهيم: 22]، وقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ} [غافر: 10]. [41]

وعن أبي عبد الرحمن، عن علي قال: كنا في جنازة في بقيع الغرقد، فأتانا النبي صلى الله عليه وسلم فقعد وقعدنا حوله، ومعه مخصرة، فنكس فجعل ينكت بمخصرته – زاد شعبة: الأرض بعود – قال جرير: ثم قال: «ما منكم من أحد, ما من نفس منفوسة إلا كتب مكانها من الجنة والنار, وإلا قد كتبت شقية أو سعيدة»، فقال رجل: يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل, فمن كان منا من أهل السعادة فسيصير إلى عمل أهل السعادة, وأما من كان منا من أهل

– 1996 م، جـ (6 – 7) / 1419 هـ – 1999 م، جـ (8 – 9) / 1420 هـ – 1999 م، جـ (10 – 12) / 1419 هـ – 2000 م، جـ (13 – 40) / 1424 هـ – 2003 م، 40/ 414– 415، وانظر حول الاقتباسات والنصوص والشروح أعلاه: 40 / 414.

[41] محمد بن علي بن آدم بن موسى الإثيوبي الوَلَّوِي: "شرح سنن النسائي المسمى «ذخيرة العقبى في شرح المجتبى"، 40 / 414.

الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة, قال: «أما أهل السعادة فييسرون لعمل السعادة, وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل الشقاوة» ثم قرأ {فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ} الآية. [42]

وفي صحيح البخاري، قال أبو هريرة: قال لي النبي صلى الله عليه وسلم: «جف القلم بما أنت لاق» قال ابن عباس: {لَهَا سَابِقُونَ} [المؤمنون: 61]: "سبقت لهم السعادة". [43]

والنصوص والآثار في تقدم علم الله وكتابته وقضائه وتقديره الأشياء قبل خلقها وأنواعها كثيرة جداً، وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن ذلك لا ينافي وجود الأعمال التي بها تكون السعادة والشقاء، وأن من كان من أهل السعادة فإنه ييسر لعمل أهل السعادة، ومن كان من أهل الشقاوة فإنه ييسر لعمل أهل الشقاوة، وقد نهى أن يتكل الإنسان على القدر السابق ويترك العمل، ولهذا كان من اتكل على القدر السابق، وترك ما أمر به من الأعمال هو من الأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا، وكان تركهم لما يجب عليهم من العمل من جملة المقدور الذي يسروا به لعمل أهل الشقاء، فإن أهل السعادة هم الذين يفعلون المأمور ويتركون المحظور، فمن ترك العمل الواجب الذي أمر به وفعل المحظور متكلاً على القدر كان من جملة أهل الشقاء الميسرين لعمل أهل الشقاء، وهذا الجواب الذي أجاب به النبي صلى الله عليه وسلم في غاية

---

[42] ينظر: المهلب بن أحمد بن أبي صفرة أسيد بن عبد الله الأسدي الأندلسي، المريي (المتوفى: 435هـ): "المختصر النصيح في تهذيب الكتاب الجامع الصحيح"، المحقق: أحمد بن فارس السلوم، الناشر: دار التوحيد، دار أهل السنة – الرياض، الطبعة: الأولى، 1430هـ – 2009 م، 2/ 40، وانظر: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ): " مسند الإمام أحمد بن حنبل"، المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1421 هـ – 2001 م، 2/ 319، وانظر: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (المتوفى: 275هـ): "سنن أبي داود"، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، 4/ 222.

[43] محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي: "الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري"، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، 1422هـ، 8/ 122.

السداد والاستقامة وهو نظير ما أجاب به في الحديث الذي رواه الترمذي أنه قيل: يا رسول الله أرأيت أدوية نتداوى بها ورقي نسترقي بها وتقاة نتقيها هل ترد من قدر الله شيئا؟ فقال: "هي من قدر الله"، وذلك لأن الله سبحانه وتعالى هو يعلم الأشياء على ما هي عليه وكذلك يكتبها فإذا كان قد علم أنها تكون بأسباب من عمل وغيره وقضى أنها تكون كذلك وقدر ذلك لم يجز أن يظن أن تلك الأمور تكون بدون الأسباب التي جعلها الله أسباباً. [44]

وعن إسماعيل بن محمد، عن أبيه، عن جده سعد بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " سعادة لابن آدم ثلاثة، وشقاوة لابن آدم ثلاثة، فمن سعادة ابن آدم: المرأة الصالحة، والمسكن الواسع، والمركب الصالح، وشقاوة ابن آدم: المسكن السوء، والمرأة السوء، والمركب السوء " قال الشيخ رحمه الله: هذه والله أعلم سعادة الدنيا دون سعادة الدين، والسعادة سعادتان: مطلقة، ومقيدة، فالمطلقة: السعادة في الدين والدنيا، والمقيدة: فيما قيدت به، وهذه سعادة مقيدة، لأنها ذكرت أشياء معدودة، فكان من رزق امرأة صالحة، ومسكنا واسعة، ومركبا صالحا، طاب عيشه،

---

[44] ينظر: أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العكبري المعروف بابن بطة العكبري (المتوفى: 387هـ): " الإبانة الكبرى لابن بطة"، المحقق: رضا معطي، وعثمان الأثيوبي، ويوسف الوابل، والوليد بن سيف النصر، وحمد التويجري الناشر: دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض، الكتاب الرابع/ نسخ – مكتبة أحمد الخضري، مقابلة – مكتبة يا باغي الخير أقبل، ج 1، 2: حققه: رضا بن نعسان معطي – الطبعة: الثانية، 1415 هـ – 1994 م، ج 3، 4: حققه: د. عثمان عبد الله آدم الأثيوبي – الطبعة: الأولى، 1415 هـ، ج 5: حققه: د. يوسف بن عبد الله بن يوسف الوابل – الطبعة: الثانية، 1418 هـ، ج 6: حققه: د. يوسف بن عبد الله بن يوسف الوابل – الطبعة: الأولى، 1415 هـ، ج 7: حققه: الوليد بن محمد نبيه بن سيف النصر – الطبعة: الأولى، 1418 هـ، ج 8، 9: حققه: د حمد بن عبد المحسن التويجري – الطبعة: الأولى، 1426 هـ – 2005 م، والنقل أعلاه تحديدا في 3/ 177، وانظر: أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفى: 923هـ): "إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري"، الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر الطبعة: السابعة، 1323 هـ، 7/ 422. وانظر: عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفى: 544هـ): "شرح صحيح مسلم للقاضي عياض المسمى إكمال المعلم بفوائد مسلم"، المحقق: الدكتور يحيى إسماعيل، الناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر الطبعة: الأولى، 1419 هـ – 1998 م، 8/ 129. وانظر: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: 855هـ): " عمدة القاري شرح صحيح البخاري"، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، 19/ 298.

ويهنأ ببقائه، وثم رفعه بها، لأن هذه الأشياء من تراخي الأبدان، ومتاع الحياة الدنيا، وقد يكون السعيد في الدين، ومن عباد الله الصالحين، ولا يكون له شيء من هذه الأشياء، وإن كانت أي الشقاوة، فعلى ضد هذا المعنى من الشقاوة، ومعنى الشقاوة ههنا: التعب، قال الله تعالى: {لَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ﴿١١٧﴾} قيل: فتتعب، ومن ابتلي بالمرأة السوء، والمسكن السوء، والمركب السوء تعب في أكثر أوقاته، ويجوز أن يكون أكثر السعداء مبتلين بهذا التعب، فإن الأولياء مرادون بالبلاء، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل» ، وقد كان لنوح ولوط صلوات الله عليهما امرأتا سوء، فهما في غاية الشقاوة، ولوط ونوح في غاية السعادة، وامرأة فرعون أسعد أهل زمانها، وفرعون أشقى الخلق، وقد كان لموسى صلوات الله عليه عريش يأوي إليه، وكذلك أكثر الأنبياء صلوات الله عليهم، والأولياء رضوان الله عليهم، فدل أنه أراد السعادة المقيدة التي هي سعادة الدنيا دون السعادة المطلقة التي تعم الدين والدنيا".[45]

وفي حديث جابر عند مسلم أن سراقة بن مالك بن جعشم جاء، فقال يا رسول الله: أنعمل اليوم فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير أو فيما يستقبل؟ قال: "بل فيما جفت به الأقلام، وجرت به المقادير". فقال: ففيم العمل؟ قال: "اعملوا فكل ميسر لما خلق له". وأخرجه الطبراني وبن مردويه نحوه وزاد وقرأ {فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ} إلى قوله {لِلْعُسْرَىٰ}، وأخرجه ابن ماجه من حديث سراقة نفسه لكن دون تلاوة الآية ووقع هذا السؤال وجوابه سوى تلاوة الآية لشريح بن عامر الكلابي أخرجه أحمد والطبراني ولفظه: قال: ففيم العمل؟ إذا قال: "اعملوا فكل ميسر لما خلق له"، واخرج الترمذي من حديث ابن عمر، قال: قاول عمر: يا رسول الله أرأيت ما نعمل فيه أمر

[45] أبو بكر محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري الحنفي (المتوفى: 380هـ): "بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار"، المحقق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل – أحمد فريد المزيدي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، 1420هـ – 1999م، ص 48.

مبتدع أو أمر قد فرغ منه؟ قال: "فيما قد فرغ منه"، فذكر نحوه وأخرج البزار والفريابي من حديث أبي هريرة إن عمر قال يا رسول الله فذكره. [46]

وأخرجه أحمد والبزار والطبراني من حديث أبي بكر الصديق، قلت: يا رسول الله نعمل على ما فرغ منه الحديث، نحوه ووقع في حديث سعد بن أبي وقاص، فقال رجل من الأنصار والجمع بينها تعدد السائلين عن ذلك فقد وقع في حديث عبد الله بن عمرو أن السائل عن ذلك جماعة ولفظه فقال أصحابه ففيم العمل إن كان قد فرغ منه؟ فقال: سددوا وقاربوا فإن صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة وإن عمل أي عمل"، الحديث أخرجه الفريابي قوله: ألا نتكل يا رسول الله. في رواية سفيان أفلا والفاء معقبة لشيء محذوف تقديره أفإذا كان كذلك أفلا نتكل؟ وزاد في رواية منصور وكذا في رواية شعبة أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل؟ أي نعتمد على ما قدر علينا، وزاد في رواية منصور "فمن كان منا من أهل السعادة فيصير إلى عمل السعادة ومن كان منا من أهل الشقاوة مثله". [47]

---

[46] أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي: "فتح الباري شرح صحيح البخاري"، الناشر: دار المعرفة – بيروت، 1379، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، 11/ 497.

[47] ابن حجر العسقلاني: "فتح الباري شرح صحيح البخاري"، 11/ 497.

الفصل الثاني

كيف نحصل على السعادة والحياة الطيبة

في ضوء الحكمة الإسلامية

من خلال ما تقدم، وفي ضوء قوله تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾} (النحل: 97).

تبين لنا أن الحياة الطيبة، والسعادة، كما تشير الآية الكريمة، يتم الحصول عليها من خلال الشرطين الآتيين:

1-الإيمان.

2-العمل الصالح.

ولذلك، خلال هذا الفصل الموسوم: "كيف نحصل على الحياة الطيبة والسعادة في ضوء الحكمة الإسلامية".

المبحث الأول

الإيمان والحياة الطيبة والسعادة

في القرآن الحكيم نجد الكثير من الآيات التي تتحدث عن الإيمان، من ذلك، قوله تعالى: {وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} ﴿البقرة: ٢٥﴾.

وقوله تعالى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} ﴿البقرة: ٨٢﴾.

وقوله سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} ﴿البقرة: ١٥٣﴾.

وقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ} ﴿البقرة: ١٧٢﴾.

وقوله جل شأنه: {لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا

وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ} ﴿البقرة: ١٧٧﴾.

وقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ} ﴿البقرة: ٢٠٨﴾.

وقوله سبحانه: {اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} ﴿البقرة: ٢٥٧﴾

وقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ} ﴿البقرة: ٢٦٤﴾.

وقوله سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلَّا أَن تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ} ﴿البقرة: ٢٦٧﴾

وقوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} ﴿البقرة: ٢٧٧﴾.

وورد مفهوم الإيمان في الحكمة النبوية.

ولو عدنا إلى صحيح البخاري، وإلى كتاب الإيمان فيه، لوجدنا أن الإيمان مرتبط بالعمل الصالح في الحديث النبوي. وهذا ما يقودنا إلى الحكمة في العلاقة بين الإيمان والعمل الصالح. فيبين الإمام البخاري أن الإيمان وهو قول وفعل، ويزيد وينقص، قال الله تعالى {لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا

مَّعَ إِيمَانِهِمْ﴾ [الفتح: 4] {وزدناهم هدى} [الكهف: 13] {وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ [مريم: 76] {وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ} [محمد: 17] وقوله: {وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾ [المدثر: 31] وقوله: {أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا} [التوبة: 124] وقوله جل ذكره: {فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا} [آل عمران: 173] وقوله تعالى: {وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا} [الأحزاب: 22] والحب في الله والبغض في الله من الإيمان " وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن عدي: «إن للإيمان فرائض، وشرائع، وحدوداً، وسناً، فمن استكملها استكمل الإيمان، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان، فإن أعش فسأبينها لكم حتى تعملوا بها، وإن أمت فما أنا على صحبتكم بحريص» وقال إبراهيم صلى الله عليه وسلم: «ولكن ليطمئن قلبي» وقال معاذ بن جبل: «اجلس بنا نؤمن ساعة» وقال ابن مسعود: «اليقين الإيمان كله» وقال ابن عمر: «لا يبلغ العبد حقيقة التقوى حتى يدع ما حاك في الصدر» وقال مجاهد: «شرع لكم من الدين أوصيناك يا محمد وإياه دينا واحدا» وقال ابن عباس: «شرعة ومنهاجا» سبيلا وسنة باب دعاؤكم إيمانكم لقوله عز وجل: {قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾ [الفرقان: 77] ومعنى الدعاء في اللغة الإيمان. [48]

وفي الحديث، نقرأ في صحيح البخاري، عن ابن عمر، رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان".

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «الإيمان بضع وستون شعبة، والحياء شعبة من الإيمان».

[48] محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي: " الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه"، 1/ 10.

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه».

عن أبي موسى رضي الله عنه، قال: قالوا يا رسول الله، أي الإسلام أفضل؟ قال: «من سلم المسلمون من لسانه، ويده». [49]

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم: أي الإسلام خير؟ قال: «تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف".

ومن الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، كما ورد عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يؤمن أحدكم، حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه".

ومن الإيمان حب الرسول صلى الله عليه وسلم، ورد عن الأعرج، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «فوالذي نفسي بيده، لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده». [50]

تحدث الإمام ابن القيم في كتابه القيم: "مدارج السالكين" عن (حقيقة الحياة)، فنقل عن صاحب المنازل: (باب الحياة) قال الله تعالى: {أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ} [الأنعام: 122]. استشهاده بهذه الآية في هذا الباب واضح جدا، فإن المراد بها: من كان ميت القلب بعدم روح العلم والهدى والإيمان، فأحياه الرب تعالى بروح أخرى غير الروح التي أحيا بها بدنه، وهي روح معرفته وتوحيده، ومحبته وعبادته وحده لا شريك له؛ إذ لا حياة للروح إلا بذلك، وإلا فهي في جملة

---

[49] محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي: " الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه"، 1/ 11- 12.

[50] محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي: " الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه"، 1/ 12.

الأموات، ولهذا وصف الله تعالى من عدم ذلك بالموت، فقال: {أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ} [الأنعام: 122]، وقال تعالى: {إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ} [النمل: 80]. [51]

وسمى الله سبحانه وحيه روحاً، لما يحصل به من حياة القلوب والأرواح، فقال تعالى: {وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾} [الشورى: 52]، فأخبر سبحانه أنه روح تحصل به الحياة، وأنه نور تحصل به الإضاءة، وقال تعالى: {يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴿٢﴾} [النحل: 2] ، وقال تعالى: {رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴿١٥﴾} [غافر: 15] فالوحي حياة الروح، كما أن الروح حياة البدن، ولهذا من فقد هذه الروح فقد فقد الحياة النافعة في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا فحياته حياة البهائم، وله المعيشة الضنك، وأما في الآخرة فله جهنم لا يموت فيها ولا يحيا. [52]

وقد جعل الله الحياة الطيبة لأهل معرفته ومحبته وعبادته، فقال تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾} (النحل: 97). وقد فسرت الحياة الطيبة بالقناعة والرضا، والرزق الحسن وغير ذلك، والصواب: أنها حياة القلب ونعيمه، وبهجته وسروره بالإيمان ومعرفة الله، ومحبته، والإنابة إليه، والتوكل عليه، فإنه لا حياة أطيب من حياة صاحبها، ولا نعيم فوق نعيمه إلا نعيم الجنة، كما كان بعض العارفين يقول: "إنه لتمر بي أوقات أقول فيها إن كان أهل الجنة في مثل هذا إنهم

---

[51] محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ): " مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين"، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة، 1416 هـ - 1996م، 3/ 242.

[52] ابن قيم الجوزية: " مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين"، 3/ 243.

لفي عيش طيب"، وقال غيره: "إنه ليمر بالقلب أوقات يرقص فيها طرباً". وإذا كانت حياة القلب حياة طيبة تبعته حياة الجوارح، فإنه ملكها، ولهذا جعل الله المعيشة الضنك لمن أعرض عن ذكره، وهي عكس الحياة الطيبة. [53]

فذكر الله سبحانه وتعالى محبته وطاعته، والإقبال عليه ضامن لأطيب الحياة في الدنيا والآخرة، والإعراض عنه والغفلة ومعصيته كفيل بالحياة المنغصة، والمعيشة الضنك في الدنيا والآخرة. وهذه الحياة الطيبة تكون في الدور الثلاث، أعني: دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار القرار، والمعيشة الضنك أيضا تكون في الدور الثلاث، فالأبرار في النعيم هنا وهنالك، والفجار في الجحيم هنا وهنالك، قال الله تعالى: {لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ ۚ} [النحل: 30]، وقال تعالى: {وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ ۖ} [هود: 3]. [54]

فإن الجاهل ميت القلب والروح، وإن كان حي البدن فجسده قبر يمشي به على وجه الأرض، قال الله تعالى: {أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ} [الأنعام: 122] ، وقال تعالى: {إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾} [النمل: 80] ، وقال تعالى: {إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧٠﴾} [يس: 69 – 70] ، وقال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ ۖ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴿٢٢﴾} [فاطر: 22] وشبههم في موت قلوبهم بأهل القبور، فإنهم قد ماتت أرواحهم، وصارت أجسامهم قبوراً لها، فكما أنه لا يسمع أصحاب القبور، كذلك لا يسمع هؤلاء، وإذا كانت الحياة هي الحس والحركة وملزومهما، فهذه

---

[53] ابن قيم الجوزية: " مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين"، 3/ 243.

[54] ابن قيم الجوزية: " مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين"، 3/ 243– 244.

القلوب لما لم تحس بالعلم والإيمان، ولم تتحرك له: كانت ميتة حقيقة، وليس هذا تشبيهاً لموتها بموت البدن، بل ذلك موت القلب والروح. [55]

وقال معاذ بن جبل: "تعلموا العلم، فإن تعلمه لله خشية، وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة؛ لأنه معالم الحلال والحرام، ومنار سبل أهل الجنة، وهو الأنيس في الوحشة، والصاحب في الغربة، والمحدث في الخلوة، والدليل على السراء والضراء، والسلاح على الأعداء، والزين عند الأخلاء، يرفع الله به أقواما، فيجعلهم في الخير قادة، وأئمة تقتص آثارهم، ويقتدى بأفعالهم، وينتهى إلى رأيهم، ترغب الملائكة في خلتهم، وبأجنحتها تمسحهم، يستغفر لهم كل رطب ويابس، وحيتان البحر وهوامه، وسباع البر وأنعامه؛ لأن العلم حياة القلوب من الجهل، ومصابيح الأبصار من الظلم، يبلغ العبد بالعلم منازل الأخيار، والدرجات العلى في الدنيا والآخرة، التفكر فيه يعدل الصيام، ومدارسته تعدل القيام، به توصل الأرحام، وبه يعرف الحلال من الحرام، وهو إمام العمل، والعمل تابع له يلهمه السعداء، ويحرمه الأشقياء". رواه الطبراني وابن عبد البر وغيرهما، وقد روي مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، والوقف أصح. والمقصود: قوله؛ لأن العلم حياة القلوب من الجهل فالقلب ميت، وحياته بالعلم والإيمان. وقد ذكر الإمام أحمد في كتاب الزهد من كلام لقمان، أنه قال لابنه: "يا بني جالس العلماء، وزاحمهم بركبتيك، فإن الله يحيي القلوب بنور الحكمة، كما يحيي الأرض بوابل القطر"،[56]

ومن مراتب الحياة عند ابن القيم حياة الإرادة والهمة. فضعف الطلب، وفتور الهمة إما من نقصان الشعور والإحسان، وإما من وجود الآفة المضعفة للحياة، فقوة الشعور، وقوة الإرادة

---

[55] ابن قيم الجوزية: " مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين"، 3/ 244-245.

[56] ابن قيم الجوزية: " مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين"، 3/ 245-246.

دليل على قوة الحياة، وضعفها دليل على ضعفها، وكما أن علو الهمة، وصدق الإرادة والطلب من كمال الحياة: فهو سبب إلى حصول أكمل الحياة وأطيبها، وضعف الإرادة والطلب: من ضعف حياة القلب، وكلما كان القلب أتم حياة، كانت همته أعلى وإرادته ومحبته أقوى، فإن الإرادة والمحبة تتبع الشعور بالمراد المحبوب، وسلامة القلب من الآفة التي تحول بينه وبين طلبه وإرادته، فإن الحياة الطيبة إنما تنال بالهمة العالية، والمحبة الصادقة، والإرادة الخالصة، فعلى قدر ذلك تكون الحياة الطيبة، وأخس الناس حياة أقلهم همة، وأضعفهم محبة وطلبا، وحياة البهائم خير من حياته. والمراد: أن حياة القلب بالعلم والإرادة والهمة، والناس إذا شاهدوا ذلك من الرجل قالوا: هو حي القلب، وحياة القلب بدوام الذكر، وترك الذنوب، كما قال عبد الله بن المبارك. رحمه الله:

رأيت الذنوب تميت القلوب ... وقد يورث الذل إدمانها

وترك الذنوب حياة القلوب ... وخير لنفسك عصيانها [57]

يقول الشيخ ابن القيم: "وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يقول: من واظب على " يا حي يا قيوم. لا إله إلا أنت " كل يوم بين سنة الفجر وصلاة الفجر أربعين مرة أحيى الله بها قلبه". وكما أن الله سبحانه جعل حياة البدن بالطعام والشراب، فحياة القلب بدوام الذكر، وترك الذنوب، والغفلة الجاثمة على القلب، والإنابة إلى الله، والتعلق بالرذائل والشهوات المنقطعة عن قريب يضعف هذه الحياة، ولا يزال الضعف يتوالى عليه حتى يموت، وعلامة موته: أنه لا يعرف معروفا، ولا ينكر منكرا، وكما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "لو أن الحياة الدنيا من أولها إلى آخرها أوتيها رجل واحد، ثم جاءه الموت: لكان بمنزلة من رأى في منامه ما يسره ثم استيقظ، فإذا ليس في يده شيء". وكما قال عبد الله بن مسعود أتدرون من ميت القلب الذي قيل فيه:

[57] ابن قيم الجوزية: " مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين"، 3/ 247.

ليس من مات فاستراح بميت ... إنما الميت ميت الأحياء

قالوا: ومن هو؟ قال: الذي لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا. [58]

والرجل: هو الذي يخاف موت قلبه، لا موت بدنه، إذ أكثر هؤلاء الخلق يخافون موت أبدانهم، ولا يبالون بموت قلوبهم، ولا يعرفون من الحياة إلا الحياة الطبيعية، وذلك من موت القلب والروح، فإن هذه الحياة الطبيعية شبيهة بالظل الزائل، والنبات السريع الجفاف، والمنام الذي يخيل كأنه حقيقة، فإذا استيقظ عرف أنه كان خيالا، وقد قيل: إن الموت موتان: موت إرادي، وموت طبيعي، فمن أمات نفسه موتا إراديا كان موته الطبيعي حياة له، ومعنى هذا أن الموت الإرادي: هو قمع الشهوات المهلكة، وإخماد نيرانها المحرقة، وتسكين هوائجها المتلفة، فحينئذ يتفرغ القلب والروح للتفكر فيما فيه كمال العبد، ومعرفته، والاشتغال به. ويرى حينئذ أن إيثار الظل الزائل عن قريب على العيش اللذيذ الدائم أخسر الخسران، فأما إذا كانت الشهوات وافدة، واللذات مؤثرة، والعوائد غالبة، والطبيعة حاكمة، فالقلب حينئذ إما أن يكون أسيراً ذليلاً، أو مهزوماً مخرجاً عن وطنه واستقراره الذي لا قرار له إلا فيه أو قتيلاً ميتاً، وما لجرح به إيلام. [59]

وأحسن أحوال القلب: أن يكون في حياة الفرح والسرور: فأول الطريق: أن تعرف الله، وتهتدي إليه طريقا يوصلك إليه، ويحرق ظلمات الطبع بأشعة البصيرة، فيقوم بقلبه شاهد من شواهد الآخرة، فينجذب إليها بكليته، ويزهد في التعلقات الفانية، ويدأب في تصحيح التوبة، والقيام بالمأمورات الظاهرة والباطنة، وترك المنهيات الظاهرة والباطنة، ثم يقوم حارساً على قلبه، فلا يسامحه بخطرة يكرهها الله، ولا بخطرة فضول لا تنفعه، فيتحقق بذلك الصفاء لقلبه عن حديث النفس ووسواسها، فيفدى من أسرها، ويصير طليقا، فحينئذ يخلو قلبه بذكر ربه، ومحبته والإنابة

---

[58] ابن قيم الجوزية: " مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين"، 3/ 248.

[59] ابن قيم الجوزية: " مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين"، 3/ 248.

إليه، ويخرج من بين بيوت طبعه ونفسه، إلى فضاء الخلوة بربه وذكره، فحينئذ يجتمع قلبه وخواطره وحديث نفسه على إرادة ربه، وطلبه والشوق إليه. [60]

فإذا صدق في ذلك رزق محبة الرسول صلى الله عليه وسلم، وسيطرت الروحانية على قلبه، فجعل الرسول صلى الله عليه وسلم إمامه ومعلمه، وأستاذه وشيخه وقدوته، كما جعله الله نبيه ورسوله وهادياً إليه، فيطالع سيرته ومبادئ أمره، وكيفية نزول الوحي عليه، ويعرف صفاته وأخلاقه، وآدابه في حركاته وسكونه ويقظته ومنامه، وعبادته ومعاشرته لأهله وأصحابه، حتى يصير كأنه معه من بعض أصحابه. فإذا رسخ قلبه في ذلك: فتح عليه بفهم الوحي المنزل عليه من ربه، بحيث لو قرأ السورة شاهد قلبه ما أنزلت فيه، وما أريد بها، وحظه المختص به منها من الصفات والأخلاق والأفعال المذمومة، فيجتهد في التخلص منها كما يجتهد في الشفاء من المرض المخوف، وشاهد حظه من الصفات والأفعال الممدوحة، فيجتهد في تكميلها وإتمامها. فإذا سيطر عليه ذلك انفتح في قلبه عين أخرى، يشاهد بها صفات الرب جل جلاله، حتى تصير لقلبه بمنزلة المرئي لعينه، فيشهد توحيد الرب سبحانه. [61]

ويقدم العلامة ابن القيم مزيداً من التوضيحات حول مفهوم الحياة الطيبة الوارد في قوله تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾} (النحل: 97). وليس المراد منها الحياة المشتركة بين المؤمنين وغيرهم، بل ربما زاد من لم يؤمن بالله على أوليائه في ذلك أضعافا مضاعفة، وقد ضمن الله سبحانه لكل من عمل صالحا أن يحيا حياة طيبة، فهو صادق الوعد الذي لا يخلف وعده، وأي حياة أطيب من حياة من اجتمعت همومه كلها وصارت هما واحدا في مرضاة الله؟ ولم يتشعب

---

[60] ابن قيم الجوزية: " مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين"، 3/ 251.

[61] ابن قيم الجوزية: " مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين"، 3/ 251.

قلبه، بل أقبل على الله، واجتمعت إرادته وأفكاره التي كانت متقسمة بكل واد منها شعبة على الله، فصار ذكره بمحبوبه الأعلى وحبه والشوق إلى لقائه، والأنس بقربه هو المسيطر عليه، وعليه تدور همومه وإرادته وقصوده بكل خطرات قلبه، فإن صمت كان صمته بالله، وإن نطق كان نطقه لله وبالله، وإن سمع فبه يسمع، وإن أبصر فبه يبصر، وبه يبطش، وبه يمشي، وبه يسكن، وبه يحيا، وبه يموت، وبه يبعث. [62]

وقد ورد هذا المفهوم في صحيح البخاري عنه – صلى الله عليه وسلم – فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى، أنه قال: " «ما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يمشي، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت في شيء أنا فاعله، كترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت، وأكره مساءته ولا بد له منه ".» فتضمن هذا الحديث الشريف الإلهي – الذي حرام على غليظ الطبع كسيف القلب فهم معناه والمراد به – حصر أسباب محبته في أمرين: أداء فرائضه، والتقرب إليه بالنوافل. وأخبر سبحانه أن أداء فرائضه أحب ما يتقرب به إليه المتقربون، ثم بعدها النوافل، وأن المحب لا يزال يكثر من النوافل حتى يصير محبوبا لله، فإذا صار محبوبا لله أوجبت محبته لله له محبة أخرى منه فوق المحبة الأولى، فشغلت هذه المحبة قلبه عن الفكرة والاهتمام بغير محبوبه، وملكت عليه روحه، ولم يبق فيه سعة لغير محبوبه نهائياً، فصار ذكر محبوبه وحبه ومثله الأعلى، ومالكا لزمام قلبه مستولياً على روحه استيلاء المحبوب على محبة الصادق في محبته، التي قد اجتمعت قوى محبة حبه كلها له. ولا ريب أن هذا المحب إن سمع سمع بمحبوبه، وإن أبصر أبصر به، وإن بطش بطش به، وإن مشى مشى به، فهو في قلبه ومعه

[62] محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ): "الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء"، الناشر: دار المعرفة – المغرب، الطبعة: الأولى، 1418هـ – 1997م، ص 184.

وأنيسه وصاحبه، فالباء هاهنا للمصاحبة، وهي مصاحبة لا نظير لها، ولا تدرك بمجرد الإخبار عنها والعلم بها، فالمسألة حالية لا علمية محضة. [63]

ولنتأمل ونتفكر كيف قال: " فبي يسمع، وبي يبصر " ولم يقل: فلي يسمع، ولي يبصر، وربما يظن البعض أن اللام أولى بهذا الموضع، إذ هي أدل على الغاية، ووقوع هذه الأمور لله سبحانه، وذلك أكثر خصوصية من وقوعها به، وهذا من الوهم والغلط، إذ ليست الباء هاهنا بمجرد الاستعانة، فإن حركات الأبرار والفجار وإدراكاتهم إنما هي بمعونة الله لهم، وإن الباء هاهنا للمصاحبة، أي: إنما يسمع ويبصر ويبطش ويمشي وأنا صاحبه معه، كقوله في الحديث الآخر: «أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه» وهذه هي المعية الخاصة المذكورة في قوله تعالى: {لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ۖ} [سورة التوبة: 40] . وقول النبي – صلى الله عليه وسلم –: «ما ظنك باثنين الله ثالثهما»، وقوله تعالى: {وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾} [سورة العنكبوت: 69]. وقوله: {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ} [سورة النحل: 128]. وقوله: {كَلَّا ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾} [سورة الشعراء: 62]. وقوله: {وَاصْبِرُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾} [سورة الأنفال: 46]. وقوله تعالى لموسى وهارون: {إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾} [سورة طه: 46]. فهذه الباء مفيدة لمعنى هذه المعية دون اللام، ولا يحصل للعبد الإخلاص والصبر والتوكل، ووصوله في منازل العبودية إلا بهذه الباء وهذه المعية. فمتى كان العبد بالله سهلت عليه المشاق، وتغيرت المخاوف في حقه، فبالله يسهل كل صعب، ويحصل كل عسير، ويقرب كل بعيد، وبالله تزال الهموم والغموم والأحزان، فلا هم مع الله، ولا غم ولا حزن إلا حيث يفوته العبد معنى هذه الباء، فيصير قلبه حينئذ كالحوت، إذا فارق الماء يثب وينقلب حتى يعود إليه. ولما حصلت هذه الموافقة من العبد لربه في محبته؛ حصلت موافقة الرب لعبده في حوائجه ومطالبه، فقال: «ولئن

[63] محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ): "الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء"، ص 184.

سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه» ". أي: كما وافقني في مرادي بامتثال أوامري والتقرب بمحابي، فأنا أوافقه في رغبته ورهبته فيما يسألني أن أفعله به، ويستعيذني أن يناله. [64]

فالسعادة هي تلك الحاجة التي يريد الوصول إليها كل البشر، وقليل منهم من يصل إلى سلوك طريقها الصحيح، والأكثر يريدها في غير محلها، فيزداد شقاء إلى شقائه، وتعاسة إلى تعاسة، فيظن أكثر الناس أن حصول السعادة في الغنى والمال، لكننا نجد كثيراً من الأغنياء في شقاء حقيقي، ويظن آخرون أن السعادة في كثرة الأولاد الذين هم زهرة الحياة وزينة الدنيا، ولكننا وجدنا كثيراً من هؤلاء يعاني من أولاده الأمرين. ويظن البعض أن السعادة في الشهرة والوجاهة والمناصب العالية، ولكننا وجدنا كثيراً من أصحاب الشهرة والمناصب يموتون منتحرين!! إذاً أين يمكن الحصول على السعادة إذا لم تكن في وفرة المال ولا كثرة الأولاد ولا سطوة الجاه؟ السعادة كما يقول أحد العلماء: شيء معنوي لا يرى بالعين ولا يقاس بالكم ولا تحتويه الخزائن ولا يشترى بالدنيا، السعادة شيء يشعر به الإنسان بين جوانحه، ... صفاء نفس وطمأنينة قلب وانشراح صدر وراحة ضمير. وهذا كله تجده في الإيمان العميق بالله سبحانه وفي ذكره ومراقبته والعمل الصالح ابتغاء وجهه، قال تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [النحل:97]، وقال تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾} [الرعد:28]. [65]

ويتبين من خلال ما تقدم أن السعادة على نوعين سعادة دنيوية وسعادة أخروية، وهي السعادة القصوى لأن نهايتها الجنة وكذلك الشقاوة على نوعين أيضا شقاوة دنيوية وشقاوة أخروية

---

[64] ابن قيم الجوزية: "الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء"، ص 184.

[65] فتاوى الشبكة الإسلامية، لجنة الفتوى بالشبكة الإسلامية، تاريخ الفتوى، 23 ذو الحجة 1423، (5872/9، تم نسخه من الإنترنت: في 1 ذو الحجة 1430، هـ = 18 نوفمبر، 2009 م، [الكتاب مرقم آليا]، ذا الملف هو أرشيف لجميع الفتاوى العربية بالموقع حتى تاريخ نسخه (وعددها 90751) [وتجد رقم الفتوى في خانة الرقم، ورابطها أسفل يسار الشاشة]، http://www.islamweb.net

وهي الشقاوة القصوى لأن نهايتها النار فالشقي من سبق له الشقاوة في الأزل والسعيد من سبقت له السعادة في الأزل. عن علي بن أبي طالب قال: «كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصرة فنكس وجعل ينكت بمخصرته ثم قال: ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من الجنة ومقعده من النار فقالوا يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا فقال: اعملوا فكل ميسر لما خلق له أما من كان من أهل السعادة فسيصير لعمل أهل السعادة وأما من كان من أهل الشقاوة فسيصير لعمل أهل الشقاوة ثم قرأ فَأَمَّا مَنْ أَعْطى وَاتَّقى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرى الآية. واستدل بعض العلماء بهذه الآية وهذا الحديث على أن أهل الموقف قسمان شقي وسعيد لا ثالث لهما وظاهر الآية والحديث يدل على ذلك لكن بقي قسم آخر مسكوت عنه وهو من استوت حسناته وسيئاته وهم أصحاب الأعراف في قول والأطفال والمجانين الذين لا حسنات لهم ولا سيئات فهؤلاء مسكوت عنهم فهم في مشيئة الله عز وجل يوم القيامة يحكم فيهم بما يشاء. [66]

[66] الخازن: " لباب التأويل في معاني التنزيل"، 2/ 503.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المبحث الثاني

العمل الصالح والحياة الطيبة والسعادة

العمل الصالح ورد ذكره في كتاب الله مقرونا بالكلم الطيب، فقال تعالى: {مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ} ﴿فاطر: ١٠﴾.

قال الحسن وقتادة: "الكلم الطيب ذكر الله والعمل الصالح أداء فرائضه، فمن ذكر الله ولم يؤد فرائضه رد كلامه على عمله، وليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي ولكن ما وقر في القلوب وصدقته الأعمال، فمن قال حسنا وعمل غير صالح رد الله عليه قوله، ومن قال حسنا وعمل صالحا يرفعه العمل ذلك بأن الله يقول: {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ} وجاء في الحديث: "لا يقبل الله قولا إلا بعمل ولا قولا ولا عملا إلا بنية". [67]

وعن الحسن، قال: {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ} [فاطر: 10] قال: العمل الصالح يرفعه الكلم الطيب. وقال السدي: {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ} [فاطر: 10]، يعني:

---

[67] محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: 510هـ): " معالم التنزيل في تفسير القرآن"، المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الرابعة، 1417 هـ – 1997 م، 6/ 415.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الكلام الحسن، يعني: شهادة أن لا إله إلا الله {وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ} [فاطر: 10]، يعني: وبه يقبل العمل الصالح، وإلا رد القول على العمل. [68]

قال بعضهم: {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ} هي كلمة التوحيد على ما ذكرنا، {وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ}، أي: يرفع الله العمل الصالح لصاحبه - يعني: لصاحب الكلام الطيب - فعلى هذا التأويل: يصعد الكلم الطيب إليه دون العمل الصالح.

وقال قائلون: {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ} هو الوعد الحسن، {وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ} هو إنجاز ما وعد، أي: إذا أنجز ما وعد من الوعد الحسن، ووفى ذلك الإنجاز الوعدَ الحسنَ وعدْ.

قَالَ بَعْضُهُمْ: {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ} هو كلمة التوحيد وشهادة الإخلاص، {وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ} أي؛ إخلاص التوحيد لله يرفع الكلم الطيب الذي تكلم به؛ فعلى هذا التأويل أي: يصعد الكلم الطيب إليه ما لم يخلص ذلك إلا لله. [69]

وقيل: "إلى الله، {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ}: الذكر والدعاء والتلاوة، {وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ}: أداء الفرائض، (يَرْفَعُهُ) أي: يرفع العمل الصالح الكلم الطيب، ويجعله في محل القبول ولولاه لم يقبل، أو يرفع الكلم الطيب العمل الصالح لا يقبل عمل بدون كلم التوحيد، أو العمل الصالح أي: الخالص لله". [70]

---

[68] يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي بالولاء، من تيم ربيعة، البصري ثم الإفريقي القيرواني (المتوفى: 200هـ): " تفسير يحيى بن سلام"، تقديم وتحقيق: الدكتورة هند شلبي الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، 1425 هـ - 2004 م، 2/ 780.

[69] محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: 333هـ): " تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)"، المحقق: د. مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان الطبعة: الأولى، 1426 هـ - 2005 م، 8/ 473.

[70] محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الحسني الحسيني الإيجي الشافعيّ (المتوفى: 905هـ): " تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن"، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، 1424 هـ - 2004 م، 3/ 401.

وقال العز بن عبد السلام: " {الْكَلِمُ الطَّيِّبُ} التوحيد، أو الثناء على الله – تعالى – يصعد به الملائكة المقربون {وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ} يرفعه الكلم الطيب، أو العمل الصالح يرفع الكلم الطيب، أو يرفع الله – تعالى – العمل الصالح لصاحبه". [71]

وقد بين سبحانه وتعالى جزاء الصابرين العاملين فقال: {إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿هود: ١١﴾}، الإشارة إلى أن الجزاء مغفرة، إذ إن الله يستر ما لهم من أعمال غير مقبولة بغفرانه، لأن الصبر والعمل الصالح يستران بذاتهما العمل غير الصالح بأمر الله تعالى: {إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ}، وبعد هذه المغفرة الساترة يكون الأجر الكبير الذي هو عظيم في ذاته وبلغ قدرا لَا يدرك كنهه إلا الله معطيه. العمل الصالح يقتضي صبراً على الاستمرار فلا بد أن يكون مستمراً دائماً، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: "أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل"، كما أنه قال: "إن الله يحب الديمة في الأعمال"، ثانيا: يدل اقتران العمل الصالح بالصبر على أن العمل الصالح يحتاج إلى تحمل بعض المشاق، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " والذي نفسي بيده لَا يقضى الله للمؤمن قضاء إلا كان خيرا له، إن أصابته سراء فشكر كان خيرا له، وإن أصابته ضراء فصبر كان خيرا له، وليس ذلك لأحد غير المؤمن".[72]

ولا بد لقبول العمل الصالح، كما ذكر العلماء، أن يكون العمل الصالح مرتبطاً بالتوحيد، أي أن يكون العامل له موحداً لله سبحانه وتعالى ومؤمناً به.

---

[71] أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (المتوفى: 660هـ): " تفسير القرآن (وهو اختصار لتفسير الماوردي)، المحقق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي الناشر: دار ابن حزم – بيروت الطبعة: الأولى، 1416هـ/ 1996م، 3/ 24.

[72] محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: 1394هـ): " زهرة التفاسير"، دار النشر: دار الفكر العربي، 7/ 575.

يرد في القرآن الحكيم (الكلم الطيب) وهو التوحيد، فهو الذي يرفع العمل الصالح، لأنه لا يقبل العمل الصالح إلا مع الإيمان والتوحيد. أي والعمل الصالح يرفعه الكلم الطيب، فالكناية تعود على العمل الصالح. وروي هذا القول عن شهر بن حوشب قال:" الكلم الطيب" القرآن" والعمل الصالح يرفعه" القرآن. وقيل: تعود على الله جل وعز وجل، أي أن العمل الصالح يرفعه الله على الكلم الطيب، لأن العمل تحقيق الكلم، والعامل أكثر تعبا من القائل، وهذا هو حقيقة الكلام، لأن الله هو الرافع الخافض. والثاني والأول مجاز، ولكنه سائغ جائز. قال النحاس: "القول الأول أولاها وأصحها لعلو من قال به، وأنه في العربية أولى، لأن القراء على رفع العمل. ولو كان المعنى: والعمل الصالح يرفعه الله، أو العمل الصالح يرفعه الكلم الطيب، لكان الاختيار نصف العمل. ولا نعلم أحدا قرأه منصوبا إلا شيئا روي عن عيسى، بن عمر أنه قال: قرأه أناس" والعمل الصالح يرفعه الله". وقيل: والعمل الصالح يرفع صاحبه، وهو الذي أراد العزة وعلم أنها تطلب من الله تعالى، ذكر ذلك القشيري. [73]

ويذكر الإمام الغزالي أن طريق السعادة العلم والعمل، فسلوك سبيل السعادة حزم العقلاء، والتهاون بها غفلة الجهال، ولكن كيف ينتهج الطريق من لا يعرفه، فبماذا أعلم بأن العلم والعمل هو الطريق، حتى أعمل به؟ فلك في معرفته طريقان: أحدهما جملى، يناسب المنهاج السابق، وهو أن تلتفت إلى ما اتفق عليه آراء الفرق الثلاث، وقد أجمعوا على أن الفوز والنجاة لا تحصل إلا بالعلم والعمل جميعاً، وأن اتفقوا على أن العلم أشرف من العمل. وكأن العمل متمم له وسائق بالعلم إلى أن يقع موقعه، ولأجله قال الله تعالى: {مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ

[73] أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ): " الجامع لأحكام القرآن"، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة الطبعة: الثانية، 1384هـ – 1964 م، 14/ 331.

﴿فاطر: ١٠﴾، والكلم الطيب يرجع إلى العلم عند البحث، فهو الذي يصعد ويقع الموقع، والعمل كالخادم له يرفعه ويحمله. وهذا تنبيه على علو رتبة العلم. [74]

ويذكر الغزالي أن سعادة كل شيء ولذته وراحته في وصوله إلى كماله الخاص به. ثم تعلم أن الكمال الخاص بالإنسان هو إدراك حقيقة العقليات، على ما هي عليه، دون المتوهمات والحسيات التي يشاركه الحيوانات فيها. ثم تعلم أن النفس بالذات متعطشة إليه، وبالفطرة مستعدة له، وإنما يصرفها عنه اشتغالها بشهوات البدن وعوارضه مهما استولت عليه ومهما كسر الشهوة وقهرها وخلص العقل عن رقها واستعبادها إياه، وأكب بالتفكر والنظر على مطالعة ملكوت السماوات والأرض، بل على مطالعة نفسه وما خلق فيها من العجائب، فقد وصل إلى كماله الخاص، وقد سعد في الدنيا إذ لا معنى للسعادة إلا نيل النفس كمالها الممكن لها، وإن كانت درجات الكمال لا تنحسر. ولكن لا يشعر بتلك اللذة ما دام في العالم ممنوعاً بالحس والتخيل وعوارض النفس، كالذي عرض للمطعم الألذ، وفي ذوقه خدر فيزول، فيشعر باللذة المفرطة. [75]

ويشير الغزالي أن تمام السعادة مبني على ثلاثة أشياء: قوة الغضب، قوة الشهوة، قوة العلم. فيحتاج أن يكون أمرها متوسطاً؛ لئلا تزيد قوة الشهوة فتخرجه إلى الرخص فيهلك، أو تزيد قوة الغضب فتخرجه إلى الجموح فيهلك. فإذا توسطت القوتان بإشارة قوة العلم دل على طريق الهداية، وكذلك الغضب إذا زاد سهل عليه الضرب والقتل، وإذا نقص ذهبت الغيرة والحمية في

---

[74] أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ): " ميزان العمل"، حققه وقدم له: الدكتور سليمان دنيا الناشر: دار المعارف، مصر الطبعة: الأولى، 1964، ص 194.

[75] الغزالي: " ميزان العمل"، ص 195 – 196.

الدين والدينا، وإذا توسط كان الصبر والشجاعة والحكمة. وكذا الشهوة إذا تزايدت كان الفسق والفجور، وإن نقصت كان العجز والفتور، إن توسطت كان العفة والقناعة وأمثال ذلك. [76]

يذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن مراتب المعروف والمنكر ثلاث: أحدها: العمل الصالح المشروع الذي لا كراهة فيه. والثانية العمل الصالح من بعض وجوهه، أو أكثرها إما لحسن القصد، أو لاشتماله مع ذلك على أنواع من المشروع. والثالثة ما ليس فيه صلاح أصلًا: إما لكونه تركا للعمل الصالح مطلقًا، أو لكونه عملًا فاسدًا محضًا. [77]

عن أبي الزغل، قال: قال علي بن أبي طالب: "احفظوا عني خمسا، فلو ركبتم الإبل في طلبهن لأنضيتموهن قبل أن تدركوهن: لا يرجو عبد إلا ربه، ولا يخاف إلا ذنبه، ولا يستحي جاهل أن يسأل عما لا يعلم، ولا يستحي عالم إذا سئل عما لا يعلم أن يقول: الله أعلم، والصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ولا إيمان لمن لا صبر له". [78]

أخرج الإمام أحمد من حديث أبي الدرداء، عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: "إن لكل شيء حقيقة، وما بلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه". وخرج أبو داود وابن ماجه من حديث زيد بن ثابت، عن النبي – صلى الله عليه وسلم – معنى ذلك أيضا. إن مدار جميع هذه الوصية على هذا الأصل، وما ذكر قبله

---

[76] أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ): "كيمياء السعادة"، والكتاب هو: مقتطفات مترجمة عن الأصل الفارسي والأصل: كتاب اسمه كميائي سعادات في مجلدين كبار وهو ترجمة تقريبا لكتابه الإحياء مع تغير بسيط، ص 130-131.

[77] تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ): " اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم"، المحقق: ناصر عبد الكريم العقل الناشر: دار عالم الكتب، بيروت، لبنان الطبعة: السابعة، 1419هـ - 1999م، 2/ 127.

[78] أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: 430هـ): "حلية الأولياء وطبقات الأصفياء"، الناشر: السعادة - بجوار محافظة مصر، 1394هـ - 1974م، 1/ 75 - 76.

وبعده، فهو متفرع عليه، وراجع إليه، فإن العبد إذا علم أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له من خير وشر، ونفع وضر، وأن عمل الخلق كلهم على خلاف المقدور غير مفيد البتة، علم حينئذ أن الله وحده هو الضار النافع، المعطي المانع، فأوجب ذلك للعبد توحيد ربه عز وجل، وإفراده بالطاعة، وحفظ حدوده، فإن المعبود إنما يقصد بعبادته جلب المنافع ودفع المضار، ولهذا ذم الله من يعبد من لا ينفع ولا يضر، ولا يغني عن عابده شيئا، فمن علم أنه لا ينفع ولا يضر، ولا يعطي ولا يمنع غير الله، أوجب له ذلك إفراده بالخوف والرجاء والمحبة والسؤال والتضرع والدعاء، وتقديم طاعته على طاعة الخلق جميعا، وأن يتقي سخطه، ولو كان فيه سخط الخلق جميعا، وإفراده بالاستعانة به، والسؤال له، وإخلاص الدعاء والعبادة له في حال الشدة وحال الرخاء. [79]

وأخرج الترمذي من حديث أنس، عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: "إن الله إذا أحب قوما ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط"، وكان النبي – صلى الله عليه وسلم – يقول في دعائه: أسألك الرضا بعد القضاء". ومما يدعو المؤمن إلى الرضا بالقضاء تحقيق إيمانه بمعنى قول النبي – صلى الله عليه وسلم "لا يقضي الله للمؤمن قضاء إلا كان خيرا له: إن أصابته سراء شكر، كان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر، كان خيرا له، وليس ذلك إلا للمؤمن". وجاء رجل إلى النبي – صلى الله عليه وسلم –، فسأله أن يوصيه وصية جامعة موجزة، فقال: "لا تتهم الله في قضائه". [80]

قال الله تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿النحل: ٩٧﴾} قال بعض السلف: الحياة الطيبة: هي الرضا

---

[79] زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: 795هـ): "جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم"، تحقيق: الدكتور محمد الأحمدي أبو النور، الناشر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، 1424 هـ – 2004 م، 2/ 577.

[80] ابن رجب: "جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم"، 2/ 579.

والقناعة. وقال عبد الواحد بن زيد: الرضا باب الله الأعظم وجنة الدنيا ومستراح العابدين. وأهل الرضا تارة يلاحظون حكمة المبتلي وخيرته لعبده في البلاء، وأنه غير متهم في قضائه، وتارة يلاحظون ثواب الرضا بالقضاء، فينسيهم ألم المقتضي به، وتارة يلاحظون عظمة المبتلي وجلاله وكماله، فيستغرقون في مشاهدة ذلك، حتى لا يشعرون بالألم، وهذا يصل إليه خواص أهل المعرفة والمحبة، حتى ربما تلذذوا بما أصابهم لملاحظتهم صدوره عن حبيبهم، كما قال بعضهم: أوجدهم في عذابه عذوبة. قال أبو الدرداء: "إن الله إذا قضى قضاء أحب أن يرضى به"، وقال ابن مسعود: إن الله بقسطه وعدله جعل الروح والفرح في اليقين والرضا، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط، فالراضي لا يتمنى غير ما هو عليه من شدة ورخاء، كذا روي عن عمر وابن مسعود وغيرهما. وقال عمر بن عبد العزيز: أصبحت ومالي سرور إلا في مواضع القضاء والقدر. فمن وصل إلى هذه الدرجة، كان عيشه كله في نعيم وسرور. [81]

قال الحسن: "الرضا عزيز، ولكن الصبر معول المؤمن". والفرق بين الرضا والصبر: أن الصبر: كف النفس وحبسها عن التسخط مع وجود الألم، وتمني زوال ذلك، وكف الجوارح عن العمل بمقتضى الجزع، والرضا: انشراح الصدر وسعته بالقضاء، وترك تمني زوال ذلك المؤلم، وإن وجد الإحساس بالألم، لكن الرضا يخففه لما يباشر القلب من روح اليقين والمعرفة، وإذا قوي الرضا، فقد يزيل الإحساس بالألم بالكلية. ومن ذلك أن يصبر العبد على البلاء، وهذه لمن لم يستطع الرضا بالقضاء، فالرضا فضل مندوب إليه مستحب، والصبر واجب على المؤمن حتم، وفي الصبر خير كثير، فإن الله أمر به، ووعد عليه جزيل الأجر. قال الله سبحانه: {قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ

[81] ابن رجب: "جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم"، 2/ 579.

أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ} ﴿الزمر: ١٠﴾}، وقال: {وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾}. [82]

ولذلك حذر الإسلام من الطمع "الذي هو انبعاث هوى النفس إلى ما في أيدي الناس (فإنه هو الفقر الحاضر) والحر عبد إن طمع والعبد حر إن قنع، وقد قال علي كرم الله وجهه في قوله تعالى {فلنحيينه حياة طيبة}: "إنها القناعة" وقال بشر: "لو لم يكن في القنوع إلا التمتع بالعز"، لكفى وقال الشافعي: "من غلبت عليه شهوة الدنيا لزمته العبودية لأهلها ومن رضي بالقنوع زال عنه الخضوع"، والتحذير مما (يعتذر منه) أي قوا أنفسكم الكلام فيما يحوج إلى الاعتذار كما سبق. قال بعض العارفين: الطمع طمعان طمع يوجب الذل لله وهو إظهار الإفتقار وغايته العجز والإنكسار وغايته الشرف والعز والسعادة الأبدية وطمع يوجب الذل في الدارين أي وهو المراد هنا وهو رأس حب الدنيا وحب الدنيا رأس كل خطيئة والخطيئة ذل وخزي وحقيقة الطمع أن تعلق همتك وقلبك وأملك بما ليس عندك فإذا أمطرت مياه الآمال على أرض الوجود وألقي فيها بذر الطمع بسقت أغصانها بالذل ومتى طمعت في الآخرة وأنت غارق في بحر الهوى ضللت وأضللت". [83]

والعمل الصالح في القرآن الحكيم مقرون بالصبر بسبب تطلب العمل الصالح الصبر من أجل إنجازه.

وقد استثنى الله تعالى الصابرين، وذكر في أوصافهم العمل الصالح {وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ}، أي عملوا كل شيء فيه صلاح أنفسهم وجماعتهم، وصلاح دينهم الذي هو عصمة أمرهم، وإن اقتران العمل الصالح بالصبر يدل على أمور منها: إن العمل الصالح يقتضي صبرا على الاستمرار

---

[82] ابن رجب: "جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم"، 2/ 581.

[83] زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: 1031هـ): "فيض القدير شرح الجامع الصغير"، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى – مصر، الطبعة: الأولى، 1356، 3/ 132.

فلا بد أن يكون مستمرا دائما، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: " أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل"، كما أنه قال: " إن الله يحب الديمة في الأعمال"، والأمر الآخر أنه يدل أن العمل الصالح يحتاج إلى تحمل بعض المشاق، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " والذي نفسي بيده لَا يقضى الله للمؤمن قضاء إلا كان خيرا له، إن أصابته سراء فشكر كان خيرا له، وإن أصابته ضراء فصبر كان خيرا له، وليس ذلك لأحد غير المؤمن". [84]

إن توفيق المسلم للعمل الصالح إنما هو من الله سبحانه وتعالى، فله علاقة بإثبات اسمي «الغفور»، و «الرحيم» سبحانه وتعالى؛ وإثبات ما دلَّا عليه من المغفرة والرحمة؛ وما يترتب على ذلك من غفران الذنوب والرحمة؛ فبالمغفرة يزول المكروه من آثار الذنوب؛ وبالرحمة يحصل المطلوب. ومنها: كمال رحمة الله بالخلق؛ فلله على العامل عملاً صالحاً ثلاث نعم عظيمة: الأولى: أنه بيّن له العمل الصالح من العمل غير الصالح؛ وذلك بما أنزله من الوحي على رسله؛ بل هي أعظم النعم. الثانية: توفيقه لهذا العمل الصالح؛ لأن الله قد أضل أمماً عن العمل الصالح. الثالثة: ثوابه على هذا العمل الصالح ثواباً مضاعفاً: الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة. وهذا مما يدل على كمال رحمة الله بالخلق: أنه ينعم، ثم يشكر المنعمَ عليه، كما قال تعالى: {وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا}، ﴿الإسراء: ١٩﴾، {إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا} ﴿الانسان: ٢٢﴾. [85]

إن العلاقة والاقتران دائماً بين الإيمان والعمل الصالح يدل على أن الإسلام يدعو إلى العمل الإيجابي للخير، فليس الإيمان في الإسلام مجرد نزهة روحية، وتعبد في الصوامع، إنما

---

[84] محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: 1394هـ): " زهرة التفاسير"، دار النشر: دار الفكر العربي، 7/ 575.

[85] محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: 1421هـ): " تفسير الفاتحة والبقرة"، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، 1423 هـ، 3/ 66.

الإيمان مظهره عمل إيجابي فيه نفع للناس؛ فالإسلام يدعو إلى العمل الإيجابي، لَا مجرد التقديس السلبي. وإذا كان العمل الصالح هو النفع العام والنفع الخاص، فإنه يفترق عن الصلاة والزكاة، من حيث إن هذه هي الفرائض الوقتية المنظمة للعلاقات بين العبد وربه، وبين العبد والناس، أما العمل الصالح فهو الحالة الدائمة للمؤمن التي لا تتقيد بزمان ولا مكان، ولا حال، فكما أن الإيمان حال دائمة، فالعمل الصالح أي النفع الدائم المستمر للإنسان هو الذي ينبغي أن يكون حالا دائمة مستمرة للمؤمن. [86]

[86] أبو زهرة: " زهرة التفاسير"، 2/ 1053.

ملحق

لمحة من منهاج السعادة

في الحكمة الإسلامية

إذا عدنا إلى كتاب (الأدب المفرد) للإمام البخاري لوجدنا أنه يتضمن العديد من الأحاديث النبوية التي إذا تمعنا فيها لوجدنا أن المسلم إذا فهمهما وطبقها في حياته فإنها تقوده إلى السعادة.

فمن ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم نبهنا إلى أهمية الأمن والصحة والطعان في حياتنا اليومية. عن سلمة بن عبيد الله بن محصن الأنصاري، عن أبيه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من أصبح آمنا في سربه، معافى في جسده، عنده طعام يومه، فكأنما حيزت له الدنيا". [87]

وهذا يبين لنا أهمية القناعة والرضا في حياتنا اليومية. أن نكون قانعين وراضين بما قسمه الله سبحانه وتعالى لنا، وأن نعلم أن الله تعالى هو (الرزاق ذو القوة المتين) وأن الأرزاق بيده سبحانه وتعالى، وهو من يصرف الأمور وأنه أرحم الراحمين، ولذلك فهو أعلم منا بمجريات الأمور، وأن الخير كل الخير في قدره سبحانه.

وفي الصحيحين عن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: (سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاني، ثم سألته فأعطاني، ثم سألته فأعطاني)، وكأن حكيماً لما أسلم وذهب إلى النبي

---

[87] محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: 256هـ): " الأدب المفرد"، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار البشائر الإسلامية – بيروت الطبعة: الثالثة، 1409 – 1989، ص 112.

صلى الله عليه وسلم –وهو ممن أسلم متأخراً– طلب من النبي صلى الله عليه وسلم أن يعطيه، والنبي صلى الله عليه وسلم كريم فأعطاه، وسأله مرة ثانية، مع أنه كان كبيراً في قومه رضي الله تبارك وتعالى عنه، ولكن مهما كان كبيراً فلا غنى له عن مال الله سبحانه وفضله، فلما أعطاه المرة الثالثة قال له –ينصحه–: (يا حكيم إن هذا المال خضر حلو)، والخضر هو نبات يخرج من الأرض كخضر البقلات تخرج من الأرض فتأكلها الدواب. فكأنه يضرب له المثل بما يكون أمام البقر والإبل، فتأكله وتستحلي طعمه إلى أن تهلك من كثرة الأكل. إن القناعة أصل الغنى، فمهما أوتي الإنسان من مال ولم يؤت القناعة فهو فقير. وإن العفاف زينة المسلم، وكثرة السؤال من الخصال التي يذم عليها، وقد يعاقب عليها إذا فعلها بدون حاجة مشروعة. روى مسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (قد أفلح من أسلم ورزق الكفاف وقنعه الله بما آتاه). فهذا إنسان مفلح بسبب أنه رضي عن الله سبحانه وتعالى، وصدقت الحكمة القائلة: القناعة كنز لا يفنى. فالإنسان بقناعته يستشعر أنه غني عنده كل شيء، والله عز وجل إذا أعطى الإنسان القلب المطمئن والنفس القانعة ورزقه رزقاً كفافاً على قدره بلا زيادة ولا نقصان كان مفلحاً إذا كان مسلماً مؤمناً قانعاً. فالمال كذلك، فإن الإنسان يفضل أن يأخذ المال إلى أن يهلك، وذلك بأن لا يؤدي الحقوق التي عليه، ثم يستشعر أنه يريد أكثر. [88]

ويقول الصنعاني: " (القناعة) الرضا بما ساقه الله إلى عبده من قليل أو كثير. (مال لا ينفد) أي كالمال الذي لا يفنيه الإنفاق ولا يطلب المتهالك على الدنيا إلا المال الذي لا نفاد له مع أن لا وجود له، إذ كل مال إلى نفاد". [89]

---

[88] الشيخ الطبيب أحمد حطيبة: " شرح رياض الصالحين"، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية http://www.islamweb.net [الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس – 98 درسا]، 37/ 2، 8.

[89] محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (المتوفى: 1182هـ): " التنوير شرح الجامع الصغير"، المحقق: د. محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم الناشر: مكتبة دار السلام، الرياض الطبعة: الأولى، 1432 هـ – 2011 م، 8/ 112.

يبين الفخر الرازي أن الانتفاع بلذات الدنيا يؤدي إلى المضرات، فنرى اللذات سبب للمحنة من ألف وجه بخلاف منافع الآخرة فإنها خالصة عن الشوائب والمضار، لذلك فأن الانقياد لوعد الرحمن بالفضل والمغفرة أولى من الانقياد لوعد الشيطان. وينبني على هذا أن المراد بالمغفرة تكفير الذنوب كما قال تعالى: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [التوبة: 103]، وفي الآية لفظان يدلان على كمال هذه المغفرة أحدها: التنكير في لفظة المغفرة، والمعنى مغفرة أي مغفرة والثاني: قوله مغفرة منه فقوله منه يدل على كمال حال هذه المغفرة لأن كمال كرمه ونهاية جوده معلوم لجميع العقلاء وكون المغفرة منه معلوم أيضاً لكل أحد، فعلم أن المقصود تعظيم حال هذه المغفرة، لأن عظم المعطي يدل على عظم العطية، وكمال هذه المغفرة يحتمل أن يكون المراد منه ما قاله في آية أخرى {إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا} [الفرقان: 70]، ويحتمل أن يكون المراد منه أن يجعله شفيعاً في غفران ذنوب سائر المذنبين، ويحتمل أن يكون كمال تلك المغفرة أمراً لا يصل إليه عقلنا ما دمنا في دار الدنيا فإن تفاصيل أحوال الآخرة أكثرها محجوبة عنا ما دمنا في الدنيا. [90]

وأما معنى الفضل فهو الخلف المعجل في الدنيا، وهذا الفضل يحتمل عند الرازي وجوها، أحدها: أن المراد من هذا الفضل الفضيلة الحاصلة للنفس وهي فضيلة الجود والسخاء، وذلك لأن مراتب السعادة ثلاث: نفسانية، وبدنية، وخارجية، وملك المال من الفضائل الخارجية وحصول خلق الجود والسخاوة من الفضائل النفسانية وقد تحقق الإجماع على أن أشرف هذه المراتب الثلاث: السعادات النفسانية، وأقلها السعادات الخارجية فمتى لم يحصل إنفاق المال كانت السعادة الخارجية حاصلة والنقيضة النفسانية معها حاصلها ومتى حصل الإنفاق حصل الكمال النفساني

[90] أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ): " مفاتيح الغيب"، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – 1420 هـ، 7/ 57.

والنقصان الخارجي ولا شك أن هذه الحالة أكمل، فثبت أن مجرد الإنفاق يقتضي حصول ما وعد الله به من حصول الفضل والثاني: وهو أنه متى حصل ملكة الإنفاق زالت عن الروح هيئة الاشتغال بلذات الدنيا والتهالك في مطالبها، ولا مانع للروح من تجلي نور جلال الله لها إلا حب الدنيا، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: «لولا أن الشياطين يوحون إلى قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السموات". [91]

ولذلك إذا زال عن وجه القلب غبار حب الدنيا استنار بأنوار عالم القدس وصار كالكوكب الدري والتحق بأرواح الملائكة، وهذا هو الفضل لا غير والثالث: وهو أفضل الوجوه: أنه مهما عرف من الإنسان كونه منفقا لأمواله في وجوه الخيرات مالت القلوب إليه فلا يضايقونه في مطالبه، فحينئذ تنفتح عليه أبواب الدنيا، ولأن أولئك الذين أنفق ماله عليهم يعينونه بالدعاء والهمة فيفتح الله عليه أبواب الخير. ثم ختم الآية بقوله والله واسع عليم أي أنه واسع المغفرة، قادر على إغنائكم، وإخلاف ما تنفقونه وهو عليم لا يخفى عليه ما تنفقون، فهو يخلفه عليكم. [92]

إن من السعادة أن يكون الإنسان قد وفق إلى الهداية إلى الصراط المستقيم، إلى توحيد الله سبحانه وتعالى، وإلى اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتطبيق الشعائر الدينية، والالتزام الديني. [93]

---

[91] فخر الدين الرازي: " مفاتيح الغيب"، 7/ 57.

[92] فخر الدين الرازي: " مفاتيح الغيب"، 7/ 57.

[93] حول مفهوم الصراط المستقيم، ينظر: د. رواء محمود حسين: "الصراط المستقيم: لماذا علم الحكمة الإسلامية"، شبكة الألوكة، تاريخ الإضافة: 2017/10/12 ميلادي - 1439/1/21 هجري، على الرابط الاتي:

https://www.alukah.net/library/0/121547/%D8%A7%D9%84%D8%B5%D8%B1%D8%A7%D8%B7-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B3%D8%AA%D9%82%D9%8A%D9%85-%D9%84%D9%85%D8%A7%D8%B0%D8%A7-%D8%B9%D9%84%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D9%83%D9%85%D8%A9-

يبين الإمام المراغي أن هناك نوعاً آخر من الهداية وهو المعونة والتوفيق للاستمرار في طريق الخير، وهي التي أمرنا الله بطلبها في قوله: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} ﴿الفاتحة: ٦﴾ إذ المراد- دلّنا دلالة تصحبها من لدنك معونة غيبية تحفظنا بها من الوقوع في الخطأ والضلال. أما الهداية بمعنى الدلالة على الخير والحق، مع بيان ما يعقب ذلك من السعادة والفوز والفلاح، فهي مما تفضل الله بها على خلقه ومنحهموها، ومن ثم أثبتها للنبى صلى الله عليه وسلم في قوله: {وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} ﴿الشورى: ٥٢﴾. هذا- والصراط المستقيم هو جملة ما يوصل إلى السعادة في الدنيا والآخرة من عقائد وأحكام وآداب وتشريع ديني كالعلم الصحيح بالله والنبوة وأحوال الكون وأحوال الاجتماع- وقد سمّى هذا صراطا مستقيما تشبيها له بالطريق الحسي، إذ كل منهما موصل إلى غاية، فهذا سير معنوي يوصل إلى غاية يقصدها الإنسان، وذاك سير حسيّ يصل به إلى غاية أخرى. وقد أرشدنا الله إلى طلب الهداية منه، ليكون عونا لنا ينصرنا على أهوائنا وشهواتنا بعد أن نبذل ما نستطيع من الجهد في معرفة أحكام الشريعة، ونكلف أنفسنا الجري على سننها، لنحصل على خيري الدنيا والآخرة. {صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾} الذين أنعم الله عليهم هم النبيون والصدّيقون والصالحون من الأمم السالفة. [94]

فالله سبحانه وتعالى يتفضل على عباده بثوابه من غير مقابل إذ لو كان في مقابلة العمل لما كان فضلاً. ذكر الرازي أن الرحمة والفضل محمولان على ما في الجنة من المنفعة والتعظيم،

%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B3%D9%84%D8%A7%D9%85%D9%8A%D8%A9%D8%9F-pdf/

[94] أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: 1371هـ): "تفسير المراغي"، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، 1365 هـ - 1946 م، 1/ 36.

وأما الهداية فالمراد منها السعادات الحاصلة بتجلي أنوار عالم القدس والكبرياء في الأرواح البشرية، وهذا هو السعادة الروحانية. وأخر ذكرها عن القسمين الأولين تنبيها على أن البهجة الروحانية أشرف من اللذات الجسمانية. والهداية في القرآن نوعان: هداية عامة وهداية خاصة. أما الهداية العامة: فهي كما في قوله تعالى: {وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ} ﴿البلد: ١٠﴾، أي طريقي السعادة والشقاوة، والخير والشر، وهذه تشمل هداية الحواس الظاهرة والباطنة، وهداية العقل، وهداية الدين. وأما الهداية الخاصة: فهي مثل: {أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ} ﴿الأنعام: ٩٠﴾، ومثل {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} ﴿الفاتحة: ٦﴾. هذه الهداية ليست الدلالة العامة كما سبق، وإنما هي الإعانة والتوفيق للسير في طريق الخير والنجاة مع الدلالة. ولما كان الإنسان عرضة للخطأ والضلال في فهم الدين وفي استعمال الحواس والعقل، كان محتاجا إلى المعونة الخاصة، فأمرنا الله بطلبها منه في قوله تعالى: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} ﴿الفاتحة: ٦﴾.[95]

قال: سعد بن أبي وقاص: "ثلاثة سعادة، وثلاثة شقاوة، فأما السعادة: فامرأة صالحة مواتية، ودابة تضعك من أصحابك حيث أحببت، ومسكن واسع كثير المرافق. وأما الشقاوة: فامرأة سيئة الخلق، ودابة سوء، إن أردت أن تلحق أصحابك أتعبتك، وإن تركتها خلفتك عن أصحابك، ومسكن ضيق قليل المرافق". [96]

نقل ابن أبي الدنيا أنه قال دهقان لأسد بن عبد الله وهو على خرسان، ومر به وهو يدهق في حبسه: "إن كنت تعطي لترحم، فارحم من تظلم، إن السماوات تنفرج لدعوة المظلوم؛ فاحذر

---

[95] د. وهبة بن مصطفى الزحيلي: "التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج"، 6/ 53.

[96] أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (المتوفى: 281هـ): " إصلاح المال"، المحقق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1414هـ – 1993م، ص 89.

من ليس له ناصر إلا الله، ولا جنة له إلا الثقة بنزول التغير، ولا سلاح له إلا الابتهال إلى من لا يعجزه شيء، يا أسد، إن البغي يصرع أهله، والبغي مصرعه وخيم، فلا تغتر بإبطاء الغياث من ناصر متى شاء أن يغيث أغاث. وقد أملى لقوم كي يزدادوا إثما، وجميع أهل السعادة إما تارك سالم من الذنب، وإما تارك الإصرار، ومن رغب عن التمادي فقد نال إحدى الغنيمتين، ومن خرج من السعادة فلا غاية إلا الشقاوة". [97]

وقال مالك يقال: "من السعادة المرأة الصالحة، والمسكَنُ الوَاسع، والدابة الصالحة"، قال محمد بن رشد: "المعنى في هذا بيِّن، لأن من اجتمعت له هذه الثلاثة الأشياء، فقد سلم في دنياه." [98]

ولذلك جعل العلماء متعلق السعادة الاعتقاد، فمن حقه أن يزيد والعمل؛ لأن متعلق السعادة الأمران المذكوران لا الاعتقاد وحده، وقضيته أن السعادة الدنيوية غير الاعتقاد مع أنها نفس الاعتقاد والعمل. والمراد به هنا الإخلاص، فالمطلوب من العمل على وجه الإخلاص؛ لأنه الذي يحصل به السعادة اه. المراد منه. وذلك في الدنيا حال من السعادة، وذلك بامتثال الأوامر، وكذا يقال في قوله بالتمتع في الجنة. ولذلك يخاطب بالصلاة أي فكيف يخاطبه الشرع بالصلاة، أي غير مخاطب من جهة الشرع جواب بالمنع هذا بناء على أن الأمر بالأمر بالشيء ليس أمرا بذلك الشيء، والصحيح خلافه وهو أن الأمر بالأمر بالشيء أمر بذلك الشيء وأن كلا من الصبي

---

[97] أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (المتوفى: 281هـ): "ذم البغي"، قدم له وحققه وعلق عليه: الدكتور نجم عبد الرحمن خلف الأستاذ المساعد بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الناشر: دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض – السعودية، الطبعة: الأولى، 1409 هـ - 1988 م، ص 79.

[98] أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي (المتوفى: 520هـ): "البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة"، حققه: د محمد حجي وآخرون، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية، 1408 هـ - 1988 م، 17/ 181.

والولي مخاطب من جهة الشرع أي الندب والكراهة، ويظهر أن لا ثواب للصبي على جواب الشارح المذكور إذ الثواب يتبع الأمر ولا أمر يتعلق بالصبي فلا ثواب، والصحيح أن الصبي تكتب له الحسنات لما تقدم أنه الصحيح. وقوله: من جهة الشرع أي وإنما هو مخاطب من جهة الولي. [99]

إن السعادة في تصوري في التفقه والتفهم بالدين، أي التفهم المتعلق بخصوص الأحكام الشرعية فيصير المعنى الموفق لتحصيل علم الأحكام الشرعية، والعلم بالأحكام الشرعية العملية من حيث نشأتها عن الاجتهاد والعملية أي المتعلقة بكيفية العمل كوجوب الصلاة والنية ومنه يعلم أن المراد بالعمل ما يشمل عمل القلب. ولذلك فعل المكلف، أي بالمعنى الشامل لنيته واعتقاده. [100]

ومن ثم يكون هذا التفقه والتفهم في الدين سائق لذوي العقول باختيارهم المحمود إلى ما هو خير لهم بالذات، وقد يفسر بما شرع من الأحكام ويساويه الملة ما صدقا كالشريعة لأنها من حيث إنها يدان أي يخضع لها تسمى دينا ومن حيث إنها يجتمع عليها وتملى أحكامها تسمى ملة ومن حيث إنها تقصد لإنقاذ النفوس من مهلكاتها تسمى شريعة، فالشارع أراد للإنسان الخير وسهله عليه لكونه من عليه بفهم تام ومعلم ناصح وشدة الاعتناء بالطلب ودوامه واختاره أي انتقاه للطفه وتوفيقه من العباد. وشاهد ذلك الحديث الصحيح «من يرد الله به خيرا أي عظيما يفقهه في الدين» وفي رواية «ويلهمه رشده»، وهذا الإرشاد متحقق لأولي الألباب باختيارهم المحمود

---

[99] أبو الحسن، علي بن أحمد بن مكرم الصعيدي العدوي (نسبة إلى بني عدي، بالقرب من منفلوط) (المتوفى: 1189هـ): " حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني"، المحقق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: بدون طبعة، تاريخ النشر: 1414هـ – 1994م، 1/ 40.

[100] أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي: "تحفة المحتاج في شرح المنهاج"، روجعت وصححت: على عدة نسخ بمعرفة لجنة من العلماء، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى بمصر لصاحبها مصطفى محمد، الطبعة: بدون طبعة، عام النشر: 1357 هـ – 1983 م، ثم صورتها دار إحياء التراث العربي – بيروت، بدون طبعة وبدون تاريخ، 1/ 20.

إلى الخير بالذات، ويتناول الأصول والفروع وقد يخص بالفروع والإسلام هو هذا الدين المنسوب إلى محمد – صلى الله عليه وسلم – المشتمل على العقائد الصحيحة والأعمال الصالحة. إن كون الدين والشرع إلهياً للتحرز عن الأوضاع البشرية نحو الرسوم الإدارية والتدبيرات المعاشية وسائق لأولي الألباب احتراز عن الأوضاع الطبيعية التي يهتدي بها الحيوانات لخصائص منافعها ومضارها، ولهذا ينقاد المؤمنون باختيارهم المحمود له البعيد عن الأوضاع القسرية إلى ما هو خير لهم بالذات، وهو السعادة الأبدية والقرب إلى خالق البرية. فالدين شرع الأحكام، أي ما شرعه الله من الأحكام، وهو يتناول الأصول والفروع وقد يخص بالفروع والإسلام هو هذا الدين المنسوب إلى محمد – صلى الله عليه وسلم – المشتمل على العقائد الصحيحة والأعمال الصالحة. [101]

إن الإسلام تنظيم كامل وشامل، أكرم الله الإنسان وشرفه به، لكي يحيا أياماً سعيدة في حياته على هذه الأرض، وسعادته إنما تتم بأن يهتدي إلى هويته أولاً، فيعرف أنه عبد لله سبحانه وحده، وهو إله متصف بكل صفات الكمال هو عز وجل، ثم بأن تتحقق من حوله أسباب عيش كريم يمكنه من ممارسة عبوديته له عز وجل، ولا تتوفر للإنسان أسباب عيش كريم إلا عن طريق التعاون والتكافل، على أساس من الاحترام المتبادل، ودون أن يكون ذلك ذريعة بيد أحد لظلم أو استغلال. والإسلام . من دون الشرائع الوضعية كلها . هو التنظيم الذي يحقق هذه الحاجة الأساسية والخطيرة للإنسان، في التئام مع فطرته وتصعيد لمزاياه ونفسيته. وهو يتقصى هذه الحاجة من خلال نظام متكامل يبدأ بتقويم العقيدة، ثم تقويم النظرة إلى الكون والحياة، ثم تقويم الخلق، ثم وضع الضوابط المنظمة والمقومة للسلوك، ثم تغذية ذلك كله والدخول تحت سلطانه باقتناع وطواعية. [102]

---

[101] أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي: "تحفة المحتاج في شرح المنهاج"، 1/ 21.

[102] الدكتور مُصطفى الخِنْ، الدكتور مُصطفى البُغا، علي الشّرْبجي: " الفقه المنهجي على مذهب الإمام الشافعي رحمه الله تعالى"، الناشر: دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة: الرابعة، 1413 هـ - 1992 م، 2/ 9.

وهكذا الشريعة الإسلامية، لا تكل الفرد إلى جهده وطاقته الشخصية وحدها في تدبير أمر نفسه وتوفير أسباب اكتفائه، كما لا تكله إلى ضميره الإنساني وحده في مد يد التعاون العادل والتناصر الإنساني إلى أيدي إخوانه، بل إنها ترسي القواعد والنظم التي تمد جهد الفرد ونشاطه الذاتي بعون يضمن له كرامة العيش ومستوى الاكتفاء، وترسي التشريعات الكافية لمراقبة الضمير الفردي أن لا يتمرد وتطغيه نوازع البغي والأنانية، ولضبطه ضمن خط العدل والاستقامة مع الآخرين، ولسوف تبدوا لك هذه الحقيقة إن شاء الله تعالى من خلال سيرك في معرفة أحكام الزكاة، وكيفية جمعها وسبل توزيعها، وما إلى ذلك من الأحكام المتعلقة بهذا الركن الإسلامي العظيم وذي الأهمية البالغة. إن وظيفة الزكاة . في نظرة كلية شاملة . هي مراقبة الدخل الفردي ألا يطغى في نموه على ميزان العدالة بين الأفراد، وأن يظل نموه خاضعاً لأساس الاكتفاء الذاتي للجميع، نلاحظ هذا في قوله عليه الصلاة والسلام لأصحابه الذين كان يرسلهم إلى المدن والقبائل: " ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله " ... فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم " أخرجه البخاري (1331) ومسلم (19) وغيرهم. وليست شريعة الزكاة إلا ضابطاً من جملة الضوابط الكثيرة. التي شرعها الله تعالى لتقويم السلوك الإنساني بما يتلاءم مع شروط السعادة للمجموعة الإنسانية بوصفها التركيبي المتآلف، وبوصفها أفراداً ينشد كل منهم كرامته وسعادته الشخصية في هذه الحياة. [103]

[103] الدكتور مُصطفى الخِنْ، الدكتور مُصطفى البُغا، علي الشّرْبجي: " الفقه المنهجي على مذهب الإمام الشافعي رحمه الله تعالى"، 2/ 10.

الخاتمة

جاء الإسلام من أجل أن يحقق سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة. أرسل الله سبحانه وتعالى رسوله الكريم محمداً صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين كما جاء في الكتاب الحكيم، رحمة من أجل إنقاذ الإنسانية من براثن الشرك بالله إلى الآفاق الرحبة للتوحيد والعبودية الخالصة لله رب العالمين. لذلك كل ما جاء في دين الله كان من أجل أن يحيا الإنسان حياة طيبة على الأرض وأن يسعد فيها وأن يكون آمنا مطمئناً في الآخرة أيضاً.

بين القران الحكيم، من خلال حكمته البالغة، ومن خلال إعجازه البلاغي أن طريق الحصول على الحياة الطيبة والسعادة في الدنيا والآخرة إنما يكون بالإيمان الله ومن ثم بالعمل الصالح الذي يعلمه الإنسان المسلم مبتغياً به وجه الله تعالى.

إذاً الإيمان والعمل الصالح هما الطريق الذي بينه القرآن الحكيم للحصول على الحياة الطيبة والسعادة في الدنيا والآخرة.

وبهذا يكون القران الحكيم والسنة النبوية الشريفة قد عالجا واحداً من أهم المشكلات الفلسفية والفكرية التي واجهت الإنسان عبر تاريخه، وقدما الجواب على أهم الأسئلة الفلسفية التي طرحها الفلاسفة عبر التاريخ، وهي: ما هي السعادة؟ وكيف يحصل الإنسان على السعادة؟

قائمة المصادر والمراجع

1-الآلوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (المتوفى: 1270هـ): "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني"، المحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1415 هـ.

2-ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (المتوفى: 597هـ): " جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ)"، زاد المسير في علم التفسير، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – 1422 هـ.

3-ابن بطة العكبري، أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العكبري، (المتوفى: 387هـ): " الإبانة الكبرى لابن بطة"، المحقق: رضا معطي، وعثمان الأثيوبي، ويوسف الوابل، والوليد بن سيف النصر، وحمد التويجري الناشر: دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض، الكتاب الرابع/ نسخ – مكتبة أحمد الخضري، مقابلة – مكتبة يا باغي الخير أقبل، ج 1، 2: حققه: رضا بن نعسان معطي – الطبعة: الثانية، 1415 هـ – 1994 م، ج 3، 4: حققه: د. عثمان عبد الله آدم الأثيوبي – الطبعة: الأولى، 1415 هـ، ج 5: حققه: د. يوسف بن عبد الله بن يوسف الوابل – الطبعة: الثانية، 1418 هـ، ج 6: حققه: د. يوسف بن عبد الله بن يوسف الوابل – الطبعة: الأولى، 1415 هـ، ج 7: حققه: الوليد بن محمد نبيه بن سيف النصر – الطبعة: الأولى،

1418 هـ، ج 8، 9: حققه: د حمد بن عبد المحسن التويجري – الطبعة: الأولى، 1426 هـ – 2005 م.

4-ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ): " مسند الإمام أحمد بن حنبل"، المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1421 هـ – 2001 م.

5-ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: 327هـ): "تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم"، المحقق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة – 1419 هـ.

6-ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ): " اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم"، المحقق: ناصر عبد الكريم العقل الناشر: دار عالم الكتب، بيروت، لبنان الطبعة: السابعة، 1419هـ – 1999م.

7-ابن أبي الدنيا، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف (المتوفى: 281هـ): " إصلاح المال"، المحقق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1414هـ – 1993م.

8- ابن أبي الدنيا، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (المتوفى: 281هـ): "ذم البغي"، قدم له وحققه وعلق عليه: الدكتور نجم عبد الرحمن خلف الأستاذ المساعد بالجامعة الإسلامية بالمدينة

المنورة، الناشر: دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض – السعودية، الطبعة: الأولى، 1409 هـ - 1988 م.

9- ابن حجر الهيتمي، أحمد بن محمد بن علي: "تحفة المحتاج في شرح المنهاج"، روجعت وصححت: على عدة نسخ بمعرفة لجنة من العلماء، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى بمصر لصاحبها مصطفى محمد، الطبعة: بدون طبعة، عام النشر: 1357 هـ - 1983 م، ثم صورتها دار إحياء التراث العربي – بيروت، بدون طبعة وبدون تاريخ.

10- ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي (المتوفى: 520هـ): "البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة"، حققه: د محمد حجي وآخرون، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية، 1408 هـ - 1988 م.

11- ابن عجيبة، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: 1224هـ): "البحر المديد في تفسير القرآن المجيد"، المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة، الطبعة: 1419 هـ.

12- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (المتوفى: 751هـ): " مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين"، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة، 1416 هـ - 1996م، 3/ 242.

13- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (المتوفى: 751هـ): "الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء"، الناشر: دار المعرفة – المغرب، الطبعة: الأولى، 1418هـ - 1997م، ص 184.

14- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (المتوفى: 751هـ): "الوابل الصيب من الكلم الطيب"، تحقيق: سيد إبراهيم، الناشر: دار الحديث – القاهرة، رقم الطبعة: الثالثة، 1999 م.

15- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ): "تفسير القرآن العظيم"، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية 1420هـ - 1999 م.

16- أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف (المتوفى: 1394هـ): " زهرة التفاسير"، دار النشر: دار الفكر العربي.

17- أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: 430هـ): "حلية الأولياء وطبقات الأصفياء"، الناشر: السعادة - بجوار محافظة مصر، 1394هـ - 1974م.

18- الإثيوبي، محمد بن علي بن آدم بن موسى الوَلَّوِي: "شرح سنن النسائي المسمى «ذخيرة العقبى في شرح المجتبى"، الناشر: دار المعراج الدولية للنشر [جـ 1 - 5]، دار آل بروم للنشر والتوزيع [جـ 6 - 40]، الطبعة: الأولى، جـ (1 - 5) / 1416 هـ - 1996 م، جـ (6 - 7) / 1419 هـ - 1999 م، جـ (8 - 9) / 1420 هـ - 1999 م، جـ (10 - 12) / 1419 هـ - 2000 م، جـ (13 - 40) / 1424 هـ - 2003 م.

19- الأصبهاني: "حلية الأولياء"، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1423 هـ.

20- الألباني: "ظلال الجنة في تخريج السنة لابن أبي عاصم"، ط1، المكتب الاسلامي، بيروت، 1400 هـ.

21- الألباني: "خطبة الحاجة: التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمها أصحابه"، ط1، 1421 – 2000 م، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض.

22- الإيجي، محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الحسني الحسيني الشافعيّ (المتوفى: 905هـ): " تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن"، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، 1424 هـ – 2004 م.

23- البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي: "الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه"، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، 1422هـ.

24- البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، أبو عبد الله (المتوفى: 256هـ): " الأدب المفرد"، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار البشائر الإسلامية – بيروت الطبعة: الثالثة، 1409 – 1989.

25- البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء الشافعي (المتوفى: 516هـ): " شرح السنة"، تحقيق: شعيب الأرنؤوط–محمد زهير الشاويش الناشر: المكتب الإسلامي – دمشق، بيروت الطبعة: الثانية، 1403هـ – 1983م.

26- البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود (المتوفى: 510هـ): " معالم التنزيل في تفسير القرآن"، المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الرابعة، 1417 هـ – 1997 م، 6/ 415.

27- البيهقي (المتوفى: 458هـ): "السنن الكبرى"، دار المعرفة، بيروت، 1413 هـ.

28- الخِنْ، الدكتور مُصطفى، الدكتور مُصطفى البُغا، علي الشّرْبجي: " الفقه المنهجي على مذهب الإمام الشافعي رحمه الله تعالى"، الناشر: دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة: الرابعة، 1413 هـ - 1992 م

29- الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ): " مفاتيح الغيب"، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة - 1420 هـ.

30- الصعيدي، أبو الحسن، علي بن أحمد بن مكرم العدوي (نسبة إلى بني عدي، بالقرب من منفلوط) (المتوفى: 1189هـ): " حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني"، المحقق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: بدون طبعة، تاريخ النشر: 1414هـ - 1994م.

31- الصنعاني، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (المتوفى: 1182هـ): " التنوير شرح الجامع الصغير"، المحقق: د. محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم الناشر: مكتبة دار السلام، الرياض الطبعة: الأولى، 1432 هـ - 2011 م.

32- العثيمين، محمد بن صالح بن محمد (المتوفى: 1421هـ): " تفسير الفاتحة والبقرة"، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، 1423 هـ.

33- الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور (المتوفى: 333هـ): " تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)"، المحقق: د. مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان الطبعة: الأولى، 1426 هـ - 2005 م.

34- المراغي، أحمد بن مصطفى (المتوفى: 1371هـ): "تفسير المراغي"، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، 1365 هـ - 1946 م.

35- السجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي (المتوفى: 275هـ): "سنن أبي داود"، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.

36- الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف (المتوفى: 741هـ): " لباب التأويل في معاني التنزيل"، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1415 هـ.

37- الزحيلي، د. وهبة بن مصطفى: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج"، الناشر: دار الفكر المعاصر - دمشق، الطبعة: الثانية، 1418 هـ.

38- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله (المتوفى: 538هـ): "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل"، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - 1407 هـ.

39- السجستاني، أبو داود سليمان بن الاشعث: "سنن أبي داود"، تحقيق عزت عبيد الدعاس، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1389 هـ.

40- السَلامي، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: 795هـ): "جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم"، تحقيق: الدكتور محمد الأحمدي أبو النور، الناشر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، 1424 هـ - 2004 م.

41- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله (المتوفى: 1376هـ): "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان"، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى 1420هـ -2000 م.

42- السعدي، أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس (المتوفى: 974 هـ): "الفتح المبين بشرح الأربعين"، عني به أحمد جاسم محمد المحمد قصي محمد نورس الحلاق، أبو حمزة أنور بن أبي بكر الشيخي الدّاغستاني، الناشر: دار المنهاج، جدة – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1428 هـ - 2008 م.

43- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (المتوفى: 911هـ): "الدر المنثور"، الناشر: دار الفكر – بيروت.

44- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني (المتوفى: 1393هـ): "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن"، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، 1415 هـ - 1995 م.

45- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر (المتوفى: 310هـ): "جامع البيان في تأويل القرآن"، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000 م.

46- العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل الشافعي: "فتح الباري شرح صحيح البخاري"، الناشر: دار المعرفة – بيروت، 1379، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

47- العيني، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين (المتوفى: 855هـ): " عمدة القاري شرح صحيح البخاري"، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

48- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي (المتوفى: 505هـ): " ميزان العمل"، حققه وقدم له: الدكتور سليمان دنيا الناشر: دار المعارف، مصر الطبعة: الأولى، 1964.

49- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي (المتوفى: 505هـ): "كيمياء السعادة"، والكتاب هو: مقتطفات مترجمة عن الأصل الفارسي والأصل: كتاب اسمه كميائي سعادات في مجلدين كبار وهو ترجمة تقريبا لكتابه الإحياء مع تغير بسيط.

50- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين (المتوفى: 671هـ): " الجامع لأحكام القرآن"، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة الطبعة: الثانية، 1384هـ – 1964 م.

51- القسطلاني، أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفى: 923هـ): "إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري"، الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر الطبعة: السابعة، 1323 هـ.

52- القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك (المتوفى: 465هـ): "لطائف الإشارات = تفسير القشيري"، المحقق: إبراهيم البسيوني، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، الطبعة: الثالثة.

53- الكلاباذي، أبو بكر محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب البخاري الحنفي (المتوفى: 380هـ): "بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار"، المحقق: محمد حسن محمد

حسن إسماعيل – أحمد فريد المزيدي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، 1420هـ – 1999م.

54- المناوي، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: 1031هـ): "فيض القدير شرح الجامع الصغير"، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى – مصر، الطبعة: الأولى، 1356.

55- المهلب بن أحمد بن أبي صفرة أسيد بن عبد الله الأسدي الأندلسي، المريي، (المتوفى: 435هـ): "المختصر النصيح في تهذيب الكتاب الجامع الصحيح"، المحقق: أحمد بن فارس السلوم، الناشر: دار التوحيد، دار أهل السنة – الرياض، الطبعة: الأولى، 1430هـ – 2009 م.

56- النسائي: "المجتبى من السنن"، المسمى ب (سنن النسائي)، بيت الافكار الدولية، الاردن، بدون تاريخ.

57- النووي: "الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار"، ط1، مكتبة المؤيد، 1408 هـ.

58- النيسابوري، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري (المتوفى: 261هـ): " المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم"، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

59- أرجايل، مايكل: "سيكولوجية السعادة"، ترجمة د. فيصل عبد القادر يوسف، مراجعة شوقي جلال، المركز الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يوليو، 1993م.

60- بورتولوتي، ليزا: "الفلسفة والسعادة"، ترجمة وتقديم أحمد الأنصاري، مراجعة حسن حنفي، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة.

61- حطيبة، الشيخ الطبيب أحمد: " شرح رياض الصالحين"، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية http://www.islamweb.net [الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس – 98 درسا].

62- حسين، د. رواء محمود: "الصراط المستقيم: لماذا علم الحكمة الإسلامية"، شبكة الألوكة، تاريخ الإضافة: 2017/10/12 ميلادي – 1439/1/21 هجري، على الرابط الاتي :

https://www.alukah.net/library/0/121547/%D8%A7%D9%84%D8%B5%D8%B1%D8%A7%D8%B7-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B3%D8%AA%D9%82%D9%8A%D9%85-%D9%84%D9%85%D8%A7%D8%B0%D8%A7-%D8%B9%D9%84%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D9%83%D9%85%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B3%D9%84%D8%A7%D9%85%D9%8A%D8%A9%D8%9F-pdf/

63- سليجمان، د. مارتن إي. بي.: "السعادة الحقيقية: "استخدام علم النفس الإيجابي الحديث لتحقيق أقصى ما يمكنك من الإشباع الدائم"، ترجمة د. صفاء الأعسر، د. علاء الدين كفافي، د. عزيزة السيد، د. فيصل يونس، د. فادية علوان، د. سهير غباشي، ط1، دار العين للنشر، القاهرة، 2005م.

64- عبد العزيز بن عبد السلام، أبو محمد عز الدين بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (المتوفى: 660هـ): " تفسير القرآن (وهو

اختصار لتفسير الماوردي)، المحقق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي الناشر: دار ابن حزم – بيروت الطبعة: الأولى، 1416هـ/ 1996م.

65- عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفى: 544هـ): "شرح صحيح مسلم للقاضي عياض المسمى إكمال المعلم بفوائد مسلم"، المحقق: الدكتور يحيى إسماعيل، الناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر الطبعة: الأولى، 1419 هـ - 1998 م.

66- فتاوى الشبكة الإسلامية، لجنة الفتوى بالشبكة الإسلامية، تاريخ الفتوى، 23 ذو الحجة 1423، (5872/9، تم نسخه من الإنترنت: في 1 ذو الحجة 1430، هـ = 18 نوفمبر، 2009 م، [الكتاب مرقم آليا]، ذا الملف هو أرشيف لجميع الفتاوى العربية بالموقع حتى تاريخ نسخه (وعددها 90751) [وتجد رقم الفتوى في خانة الرقم، ورابطها أسفل يسار الشاشة]، http://www.islamweb.net

67- كامل، مجدي: "سر السعادة"، ط1، دار الأمين، القاهرة، 1415 هـ - 1995م.

68- لزرق عزيز ومحمد الهلالي (إعداد وترجمة): "السعادة"، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، دفاتر فلسفية نصوص مختارة (22).

69- يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي بالولاء، من تيم ربيعة، البصري ثم الإفريقي القيرواني (المتوفى: 200هـ): " تفسير يحيى بن سلام"، تقديم وتحقيق: الدكتورة هند شلبي الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، 1425 هـ - 2004 م.

الفهارس

الفصل الأول: مفهوم الحياة الطيبة في القرآن الحكيم والسنة النبوية.

المبحث الأول: مفهوم الحياة الطيبة في الحكمة القرآنية.

المبحث الثاني: مفهوم الحياة الطيبة في الحكمة النبوية.

الفصل الثاني: كيف نحصل على السعادة والحياة الطيبة في ضوء الحكمة الإسلامية.

المبحث الأول: الإيمان والحياة الطيبة والسعادة.

المبحث الثاني: العمل الصالح والحياة الطيبة والسعادة.

الخاتمة.

قائمة المصادر والمراجع.